مجابهة القدرة النووية الاسرائيلية

اللواء الركن المتقاعد
يوسف كعوش

مهـداة مـن :

جامعة الأردنية

مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

19

مجابهة القدرة النووية الاسرائيلية

تاليف

اللواء الركن المتقاعد

يوسف كعوش

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م

٣٥٥ر٠٢١٧

يوس **يوسف كعوش**

مجابهة القدرة النووية الاسرائيلية / يوسف كعوش ٠ ـ

عمان : المؤلف ، ١٩٨٧ ٠

(٩٦) ص

ر٠أ (٢٠٠/٥/١٩٨٧)

١ ـ الحرب الذرية ٢ ـ الأحوال السياسية

أ ـ العنوان

تمت الفهرسة بمعرفة مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

الطابعون

جمعية عمال المطابع التعاونية

عمان ـ تلفون ٦٣٧٧٧١ ـ ص.ب ٨٥٧

الاهـــداء

الى التي تعد الابناء بالارادة
والعزيمة لرفض الهزيمة ...

الى أم نزار .. أهدي هذا
الكتاب .

المؤلف

أبحاث الكتاب

الفصل الأول : معلومات مبسطة عن الحرب النووية ٩

الفصل الثاني : الخيار النووي الاسرائيلي ٢٣

الفصل الثالث : القدرة النووية الاسرائيلية ٣٨

الفصل الرابع : الخيار النووي المعلن ٥٧

الفصل الخامس : القدرات النووية العربية ٦٧

الفصل السادس : مجابهة الخطر ٧٥

الفصل السابع : توازن الرعب النووي ٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدمة

بدأ العالم العربي يتنبه لحقيقة البرنامج النووي الاسرائيلي منذ أوائل السبعينيات ، ولكن تحت تأثير الفرقة المدمرة بقي الفكر السياسي مقيداً ومتخلفاً عن رؤية الواقع القاسي لوجود السلاح النووي بيد العدو ، مثل هذا التخلف هو أسهل طريق يؤدي مباشرة للاخطاء الفادحة التي تزين للاعداء حب السيطرة على ارادة الأمة العربية وقهرها في عقر دارها ، ولا بد للدول العربية ان عاجلا أو آجلا من اعادة النظر ، لتقدير القيمة الحقيقية للاخطار التي تهدد أمنها الوطني ، ووضع قواعد تكون فوق الخلافات السياسية لمجابهة المستقبل ·

ان مدة حرب أو صراع هي كالوجود الانساني طويلة وبطيئة ومجزأة ، تتطور مع الزمن والمفاهيم الجديدة القادمة · والمدة قابلة للايجاز والتراكم ولا تأخذ معناها الكلي الا في لحظتها الاخيرة ، وتستطيع ارادتنا تغيير هذا المعنى في آخر مرحلة من مراحل العمل الحربي ، فلقد قررت الساعة الاخيرة وربع الساعة الاخيرة مصير معارك عدة عبر التاريخ ، بيد ان الفكر والارادة عند بني البشر قوتان لجوجتان لا تعرفان الصبر ، وعلى المرء ان يملك فعلا زمام نفسه ليفرض عليهما هذه التأخيرات الضرورية · وان مفتاح النجاح في معالجة أمور الحرب هو بيد العنصر البشري الواعي الديناميكي الذي يسير باتجاه تطور التاريخ ، ويقول كلاوزفتز : « ان من أسباب التشويش ناجم عن ان معرفة الاحداث لا تأتي دفعة واحدة بل بصورة متتالية » ·

لن يكون الغد انعكاساً للأمس ، ويصبح الانسان كل يوم ليجد فجأة ان المفاهيم التي كان يحملها بالأمس ـ حتى أكثرها تطوراً ـ قد فقدت قيمتها أو تغيرت ، لذلك لا يجوز التفكير بأن تكون أية حرب قادمة محتملة مشابهة للحرب السابقة ويقول ليدل هارت : « مما لا شك فيه ان الاستراتيجية بحاجة الى عقل واضح وفهم سديد لكي تكون القرارات سليمة ودقيقة ، كما انها بحاجة الى ارادة صلبة كافية لمتابعة الجهد باتجاه الهدف المختار ، ويندر ان تجتمع هذه الصفات في انسان واحد ، وهذا هو سبب قلة عدد رجال الحرب الحقيقيين الذين يملكون رجاحة عقل المفكر ، وقدرة الرجال الفعالين في التنفيذ » ·

وقبل ميلاد السيد المسيح بحوالي ٥٠٠ عام كتب الاستراتيجي الصيني الشهير « صن تزو » العبارات التالية : « البارعون في الحرب يخضعون جيش العدو بدون معركة ، انهم يستولون على مدنه بدون الاعتداء عليها ، ويسقطون دولته بدون عمليات طويلة ٠٠ الاستيلاء على جيش العدو أفضل من تدميره ، لان الحصول على مائة نصر في مائة معركة ليس ذروة البراعة ٠ اخضاع العدو بدون قتال هو ذروة البراعة » ٠

ان المكتشفات التي تمت بعد الحرب العالمية الثانية أثرت على جميع المجالات التقنية والسياسية والحياة الجماعية وأحدثت تحولات ظاهرة في كافة نواحي الحياة ، وكان أكثرها بروزاً التحول الذي طرأ على الحرب من حيث اعدادها ومجابهتها ٠ ان اشراك اسرائيل في برنامج حرب النجوم سيهيء لها دفعة تكنولوجية وقفزة صناعية ، وهي ترمي من وراء الحصول على المال مقابل دورها في هذا البرنامج ، التركيز على معرفة الوسيلة لتدمير الصواريخ العربية وهي في طريقها بضغط الازرة من الأراضي المحتلة ــ مع ان الصواريخ العربية حالياً لا تحمل سوى المتفجرات التقليدية ــ واذا افترضنا امتلاك احدى القوتين العظميين قدرة دفاعية شاملة تحمي قواتها ومدنها من الدولة العظمى الأخرى ، فأن هذا التفوق سيمنح تلك الدولة قدرة السيطرة على الخصم المقابل ، وماذا سيمنع اسرائيل من طلب السيطرة على العرب أو أقطار عربية معينة في حال امتلاكها مثل تلك القدرة الدفاعية ؟ ٠

وبعد : ليس من شأن هذا الكتاب البحث في النواحي العلمية والفنية للسلاح النووي ، أو عمل دراسة للمفاعلات والمنشآت التي تقيمها اسرائيل في فلسطين المحتلة ، وانما الهدف منه تقديم فكرة عن القدرات النووية ، ومناقشات مبنية على المنطق العسكري عن احتمالات التصرف بالمسائل النووية حسب الطبيعة القائمة في الشرق الأوسط ، وظروف الغزوة الصهيونية الموجهة الى العرب والمسلمين ، والبدائل التي يمكن ان يلجأ اليها العرب لمجابهة العدو قبل امتلاكهم للسلاح النووي ، وما يمكن ان يصبح عليه الموقف بعد امتلاك السلاح النووي ٠

آمل ان أكون قد بينت ما ينير الطريق لبني قومي ، والله من وراء القصد ٠

عمان : حزيران ١٩٨٧

اللواء الركن المتقاعد
يوسف كعوش

الفصل الأول

معلومات مبسطة عن الحرب النووية

لتركيب قنبلة نووية عاملة فانك بحاجة الى ثلاثة أشياء :

١ ـ معرفة عن كيفية عمل القنبلة ·

٢ ـ كمية كافية من (كتلة حرجة) المادة الانشطارية كاليورانيوم ٢٣٥ أو البلوتونيوم ٢٣٩ ·

٣ ـ وسائل لجمع تلك المادة الانشطارية مع بعضها بطريقة تضمن انها ستنفجر في المكان الذي تريده ، وليس في قبو بيتك[١] ·

في عام ١٩٠٥ أعلن العالم الألماني البرت انشتاين لأول مرة ان المادة يمكن ان تتغير الى طاقة ، كما ان الطاقة يمكن تحويلها الى مادة ، فكان انشتاين أول من يكتشف ان المادة والطاقة هما مظهران مختلفان لظاهرة طبيعية واحدة ، وقدم قانونه الشهير « المادة لا تفنى ولا تستحدث » ، ويعني هذا القانون ان ذرة المادة يمكن ان تنشطر أكثر وأكثر ، وفي عملية الانشطار النووي تتحول المادة الى طاقة ، كما تنتج الطاقة في عملية التحام ذرتين أو أكثر مع بعضهما ، وقد وضع انشتاين لذلك المعادلة التالية :

$$E = M C^2$$

الطاقة = الكتلة وسرعة الضوء في الفراغ

ويمثل الحرف (E) الطاقة ، والحرف (M) الكتلة ، والحرف (C) سرعة الضوء في الفراغ ·

وكانت هذه المعادلة وما زالت فتحاً عظيماً في دنيا العلم والمعرفة ، حيث اكدت ان جزءاً صغيراً من المادة يمكنه انتاج وتوليد مقدار كبير جداً من الطاقة[٢] · بعد هذا الاكتشاف العلمي العظيم وأصل علماء الطبيعة أبحاثهم وتجاربهم ، وما ان حل عام ١٩١٩ حتى أصبح في حكم المؤكد لديهم ان المادة يمكن ان تختفي عن طريق الانشطار ، ويتولد عن هذه العملية طاقة هائلة أكثر ببلايين المرات مما يتولد عن أي مصدر طاقة آخر · وفي عام ١٩٣٨ توصل العالمان الالمانيان فريتز ستراوسمان وأتوهانز الى اكتشاف الانشطار النووي بعد تجارب علمية اجرياها على الذرة ، وحتى عام ١٩٣٩ لم يكن أحد متأكداً كيف يصنع السلاح النووي ، أما اليوم فان المعرفة العملية اللازمة لصنع قنبلة

نووية خاماً موجودة ومتيسرة في الكتب والنشرات العلمية ، فالمبادىء العامة موصوفة في أغلب كتب الانسايكلوبيديا ، وكتب الفيزياء في المدارس الثانوية ، وما على المرء الا ان يبحث عن المادة أو الفصل المعنون : «القنبلة الذرية» أو «الاسلحة النووية» أو «الانشطار»(٣) ٠

ان ما يشمله الانفجار النووي بصورة جوهرية هو الجمع مع بعض (للكتلة الحرجة) من اليورانيوم ٢٣٥ ـ يشير الرقم ٢٣٥ الى مجموع عدد النيوترونات والبروتونات في نواة ذرة واحدة ـ أو بلوتونيوم ٢٣٩ لتبدأ حركة (التفاعل المتسلسل) السريعة التي تسبق الانفجار النووي ٠

ولكي نتصور خلق الكتلة الحرجة لمادة انشطارية ، تصور نفسك وأمامك كومة من الثلج ، وهي تمثل اليورانيوم ٢٣٥ أو البلوتونيوم ٢٣٩ ، واذا كنت تريد ان تبدأ في رزم كومة الثلج القابلة للانشطار على شكل كرة ثلجية ، وتوقفت عندما تصل الى حجم كرة الغولف ، فستكون صغيرة جداً ، ولم تصل بعد الى الكتلة الحرجة اللازمة حتى لو بدأت عملية الانشطار ، فستهرب نيوترونات كثيرة من سطح كرة الثلج لتغذية التفاعل المتسلسل الضروري ٠ واذا كنت تريد زيادة حجم كرة الثلج ببطء لتصل الى حجم كرة البيسبول ، فانك تكون قد وصلت الى الكتلة الحرجة ، واذا بدأت عملية الانشطار داخل كرة الثلج فسيتم انتاج بروتونات أكثر من التي هربت عن سطحها ـ تذكر ان النيوترونات هي التي تفلق ذرات اليورانيوم ٢٣٥ والبلوتونيوم ٢٣٩ ، والتي بدورها تفلق الذرات الأخرى وهكذا ، وتصبح الكتلة الحرجة (حرجة) عند النقطة التي لا تستطيع فيها التخلص من نيوتروناتها بسلام(٤) ٠

وعندما تحصل على الكتلة الحرجة ، فان لديك واحد من مليون من الثانية لترمي كرة الثلج على شخص ما ، لا يعجبك شكله ، لان تلك هي المدة التي تستغرقها الكتلة الحرجة لمادة انشطارية لخلق انفجار نووي ٠ وفي هذه الفترة يكون العدد التالي : ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٢ من ذرات اليورانيوم أو البلوتونيوم قد (انشطرت) أو (اتحدت) ، وتكون الشظايا الذرية الناتجة عن ذلك ، ذرات جديدة أصغر ، ونيوترونات واشعاع غاما ـ أشعة غاما مشابهة لاشعة أكس ـ وتندفع حول نقطة الانفجار بسرعة عالية ، مما يسبب لكرتك الثلجية لتصل الى درجات حرارة عالية تساوي (٠٠٠ر٠٠٠ر١٠ درجة فهرنهايت) وهي أشد حرارة من سطح الشمس ، ولذلك لا تبقى الكرة متماسكة ويحدث الانفجار ٠

أما التفاصيل الفنية لتصميم القنبلة النووية وقدح الزند للانفجار النووي ، فهي اكثر تعقيدا من رزم كرة الثلج للمادة الانشطارية لتصل الى الكتلة الحرجة ، ولكن التعقيد ليس كبيراً ، ويكمن السر في سرعة رزم كرة الثلج عندما تريدها ان تنفجر ، والحقيقة ان الجزء الصعب من تركيب القنبلة هو في تجميع الكمية اللازمة من المادة الانشطارية ٠

توجد مادة اليورانيوم في الطبيعة ولكن ليست بكثرة ، وتجري عمليات لايجاد خامة اليورانيوم وفصل العنصر عن خامته ، واصعب من ذلك عملية فصل اليورانيوم المشع ٢٣٥ من اليورانيوم ٢٣٨ ، والأخير يشكل ٣ر٩٩ في المئة من اليورانيوم الطبيعي ، أما البلوتونيوم ، فيقدم معضلة اعظم ، حيث لا يوجد طبيعياً بالمرة بل يجب خلقه بقصف الورانيوم ٢٣٨ بالنيوترونات ٠

واذا افترضنا انك جمعت أو اشتريت أو سرقت الكمية اللازمة من المادة الانشطارية لعمل القنبلة فان الحيلة التالية هي توقيت الرزم النهائي لكرتك الثلجية المدمرة لدرجة انها ستنفجر في مكان ما ، وان لا يحدث الانفجار بين يديك(٥) ٠

قياس حجم القنبلة

تقاس الطاقة الناتجة عن الانفجار النووي أو الطاقة التي تنطلق نتيجة اشعال السلاح النووي – تقاس بالاطنان من مادة ت٠ ن٠ ت « لا تسأل لماذا حيث لا يتذكر ذلك أحد » ٠ وقد جرى استعمال المصطلح (كيلو طن) اذا كانت طاقة السلاح النووي الذي سنفجره تساوي ١٠٠٠ طن من مادة ت٠ن٠ت٠ و ٥ كيلو طن ، أو ٢٠ كيلو طن اذا كانت طاقة السلاح تساوي ٠٠٠ر٥ طن أو ٠٠٠ر٢٠ طن ، أما مصطلح (ميغاطن) فيستعمل اذا كانت طاقة السلاح النووي تساوي مليون طن من مادة ت٠ ن٠ ت٠ وهكذا ٠

لقد كانت طاقة القنبلة النووية التي القيت على هيروشيما – وهي أول قنبلة تلقى على هدف في الحرب – حوالي ١٥ كيلو طن ، وهناك بعض القنابل الهيدروجينية في الترسانة السوفيتية تزيد طاقتها عن عشرين ميغاطن (ملايين الاطنان – ويزيد حجمها اكثر من ألف مرة عن حجم قنبلة هيروشيما ، أما أكبر قنبلة هيدروجينية امريكية تم اختبارها يوم ١ اذار ١٩٥٤ فكانت تساوي ١٥ ميغاطن ، وكانت أكبر قنبلة سوفيتية تم اختبارها عام ١٩٦١ تساوي حوالي ٥٠ ميغاطن ٠

تأثير السلاح النووي

الاسلحة النووية عبارة عن قنابل وهي اكثر قوة من القنابل العادية التي عرفها الانسان حتى وقتنا هذا ، وهذه ليست العلة الوحيدة ، ولكنها تنتج اشعة اكس واشعة غاما ، والغبار الذري وتأثيرات أخرى جديدة غادرة تسمم أو تتلف جسم الانسان ٠ ان التأثيرات الفورية للسلاح النووي تقع تحت ثلاثة أنواع مقابل ثلاثة اشكال من الطاقة التي تنطلق نتيجة الانفجار النووي وهي : العصف ، والحرارة ، والاشعاع ، والثلاثة جميعها قاتلة ٠

تأثير العصف

يُحدث الانفجار النووي في جزء من الثانية موجة قوية من العصف على شكل حائط مضغوط من الهواء ، وهي مادياً نفس موجة العصف الناتجة عن انفجار قنبلة تقليدية ، ولكنها اقوى بكثير ٠ اذ تتحرك موجة العصف من الانفجار النووي من (أرض الصفر) وهي نقطة اشتعال السلاح النووي ، بسرعة لا تقل عن ١٢٫٥ ميلا في الدقيقة ، أو ٧٥٠ ميلا في الساعة ، وهذه السرعة اسرع بقليل من سرعة الصوت ٠ ويكون التدمير المادي الواسع نتيجة « الضغط الزائد » لموجة العصف ـ وهي الكمية التي يزيد فيها ضغط موجة العصف عن الضغط الجوي الاعتيادي ـ ومن الرياح الشديدة التي تتبعها وتسمى الضغط الديناميكي ٠

وهناك تأثيرات مختلفة لموجة العصف على الاشياء المادية ، فمعظم الابنية تنهار تحت خمسة ارطال انجليزية على الانش المربع من الضغط الزائد ، والمعروف ان جسم الانسان يستطيع ان يتحمل ضغطاً زائداً لغاية مائتي رطل انكليزي لكل انش مربع « أربع عشرة مرة من الضغط الجوي العادي » قبل حصول العطب الجسماني ، ولكن تأثيرات العصف تقتل أيضا وتجرح كثيرين من الناس الذين يكونون في الابنية المتهاوية ، أو يصابون بالحطام المتطاير أو شظايا الزجاج ٠

تأثير الحرارة

تنتج مادة ت٠ ن٠ ت٠ في قنبلة تقليدية حرارة تساوي عددا قليلا من آلاف الدرجات ٠ أما في انفجار القنبلة النووية فتصل درجة الحرارة الى عدة بلايين من الدرجات وذلك في نقطة المركز ، وأسخن منطقة في الانفجار النووي والتي تسمى (الكرة النارية) ، وتنطلق منها كميات هائلة من الحرارة « تسمى الاشعاع الحراري » ،

هذا الاشعاع الحراري هو مثل نفس الحرارة التي يشعر بها المرء من مشع التدفئة أو من الوقوف أمام نار الموقد ·

تكون نسبة ٣٥ في المائة من الطاقة الناتجة عن انفجار قنبلة نووية على شكل اشعاع حراري ، كما توجد نبضتان من الاشعاع الحراري ، وتقع الأولى حالما تبدأ الكرة النارية في التكوين ، وتدوم هذه النبضة فترة قصيرة ، وهكذا لا تسبب سوى اصابات قليلة · أما النبضة الثانية فتتبع بعد حوالي ثانية ، ونظراً لان الاشعاع الحراري يسير بسرعة الضوء (١٨٦ر٠٠٠ ميل في الثانية) ، فانها تسبق موجة العصف التي تسير بسرعة الصوت ، تماما كما يسبق البرق الرعد ·

يسبب الاشعاع الحراري الاصابات بطريقتين ـ بطريقة مباشرة على شكل حروق جلدية ، وبطريقة غير مباشرة باشعال الحرائق · وتختلف الحروق الناجمة عن الاشعاع الحراري بصورة مباشرة بالنسبة لدرجة القرب من «أرض الصفر» ومقدار الانفجار · وكلما كنت قريبا اكثر كلما كانت الحروق اسوأ · وفي حالة انفجار قنبلة من عيار واحد ميغاطن وهو الحجم التقريبي لعدد كبير من الاسلحة النووية في وقتنا الحاضر ، فانها تسبب حروقا مميتة للناس المتواجدين في العراء ضمن دائرة نصف قطرها خمسة أميال على الأقل من أرض الصفر ، لقد كانت الحروق من أكثر الاصابات المروعة التي سببتها القنبلة الذرية التي القيت على مدينة هيروشيما ·

يمكن ان يتسبب الاشعاع الحراري الناتج عن انفجار نووي في اشعال الحرائق ، تماما كما تفعل اشعة الشمس اذا ركزت بزجاج مضخم ، فتشعل ورقة شجر أو قطعة من الورق ، وتشتعل نيران اضافية من العصف ، نتيجة لتدمير الافران والمنظومات الكهربائية ، ويختلف العلماء حول مدى انتشار مثل هذه الحرائق ومثال ذلك : لقد حدثت عاصفة نارية في هيروشيما ــ كما حدث في قصف مدينة طوكيو بالقنابل التقليدية ــ ولكن لم يحدث ذلك في نغازاكي ، ولا تقتل العواصف النارية بواسطة الحرارة فقط ، ولكن أيضا بواسطة الاختناق للناس المتواجدين في الملاجيء · فالنار تستهلك الأوكسجين بمعدل عالٍ وتمتص الهواء من الأماكن التي يختبيء فيها الناس ·

تاثير الاشعاع

ينتج عن الانفجار النووي سيل من الجزيئات المشعة مثل النيوترونات وأشعة ألفا وبيتا وغاما ، وان جزيئات اشعة ألفا وبيتا هي ذات مدى قصير جداً يقاس بالسنتيمترات ، ومقدرتها على الاختراق بسيطة ، وليس لها أي تأثير مباشر الا اذا

تعرض لها الجلد بشكل ملامس أو استنشقت • أما النيوترونات واشعة غاما ، فلهما مدى بعيد ، وتسافر كل منهما مسافات كافية بحيث تحدثان اصابات ، ولهما قوة اختراقية كبيرة •

ان المصدر الرئيسي للموت والطاقة من الاشعاع يكون من المتساقطات المشعة ، فحالما يشتعل السلاح النووي عند أو قرب مستوى سطح الأرض فان الكرة النارية عند منتصف الانفجار تجرف معها التراب والغبار من الأرض ، بعض هذه المواد ـ وهي آلاف من الأطنان في حالة انفجار قنبلة كبيرة ـ تتحول الى جزيئات دقيقة جداً من الغبار وتحمل الى ارتفاعات عالية في الغمامة التي تصبح على شكل نبات الفطر • وجزيئات الغبار تلك تحوي مواد مشعة من الانفجار النووي تعود بعدئذ الى الأرض باتجاه الريح من نقطة الانفجار ، ويطلق على هذه الجزيئات المشعة اسم (الغبار الذري) ، ويوجد عدة أنواع من المواد المشعة المختلفة في هذا الغبار ، بعضها يشكل خطراً لايام قليلة ، وبعضها تبقى مميتة لعدة سنوت •

ان الغبار المشع في الواقع هو نوع من السم يمكن امتصاصه بواسطة الجلد أو عن طريق التنفس أو الأكل ، ويتجمع داخل الجسم • وعندما تتجاوز الجرعة المتجمعة داخل الجسم مستوى معينا تكون النتيجة هي «مرض الاشعاع» ، وهو مرض يهاجم مخ العظام واجزاء أخرى من الجسم ، والاعراض الأولى لذلك ، هي التقيوء والاسهال ، يتبعها فقر الدم وتساقط الشعر ، ومن الممكن ان تحدث تقرحات جلدية ، وعرضة زائدة للتلوث ، وأخيراً الموت في اسوأ الحالات ، لقد توفى آلاف من الناس بسبب مرض الاشعاع بعد انفجاري هيروشيما ونغازاكي •

وقد ترى بعض اشكال الغبار كشريط رقيق ولكنها على الاغلب لا تكون منظورة ، ولا يمكن مشاهدة الاشعاع أو تذوقه أو شمه أو الشعور به الا بواسطة أجهزة خاصة تكشف عن وجوده •

ويستطيع الناس حماية أنفسهم من الغبار الذري بالبقاء داخل بيوتهم لمدة اسبوعين أو اكثر بعد الانفجار النووي • وحتى البيت الخشبي العادي يهيء كثيراً من الحماية ، وأحسن من ذلك القبو «طابق التسوية» ، ووجود ملجأ تحت الأرض فوقه غطاء سميك من التراب ووسيلة لتنقية الهواء هو أحسن من الجميع ، ولكن الاشعاع يلوث الطعام والماء أيضا ، ولا يعرف معظم الناجين من الانفجار النووي ان ما يأكلونه أو يشربونه سليما ، حيث لا تتوفر لهم طريقة لذلك ـ هذا اذا فرضنا انهم تمكنوا من الحصول على شيء يأكلونه أو يشربونه(٦) •

ما بعد الحرب ــ عالم مظلم

يمكن اعطاء خلاصة موجزة لعالم ما بعد الحرب النووية ، وهي حزينة ومظلمة · فاذا حاولنا التنبوء بالضبط كيف ستكون حال العالم واستعملنا اكثر أجهزة الكمبيوتر تطوراً واقدر علماء الاجتماع المرموقين ، وعلماء الاقتصاد ، ورجال الأعمال ، وعلماء السياسة · فمن المحتمل أننا لا نستطيع ان نصل الى نتيجة أحسن ، لقد حاول البنتاغون في بداية السبعينات هذا النوع من التحليل بالضبط في دراسة اسماها « دراسة ما بعد الهجوم النووي » وبعد انفاق ملايين الدولارات وعدة أشهر من الجهد ، الا ان تلك الدراسة طرحت جانبا حيث لم يستطع أحد ان يعرف ماذا يتوقع ، لانه لم يجرب أحد مثل هذه الحالة ·

ان الحقيقة البسيطة هي ان لدينا فكرة ضئيلة جداً عما سيكون عليه شكل العالم ــ ولكنه سيكون مروعاً · وغالبا ما يقال : « ان الحي سيحسد الميت » ·

التسميــــة

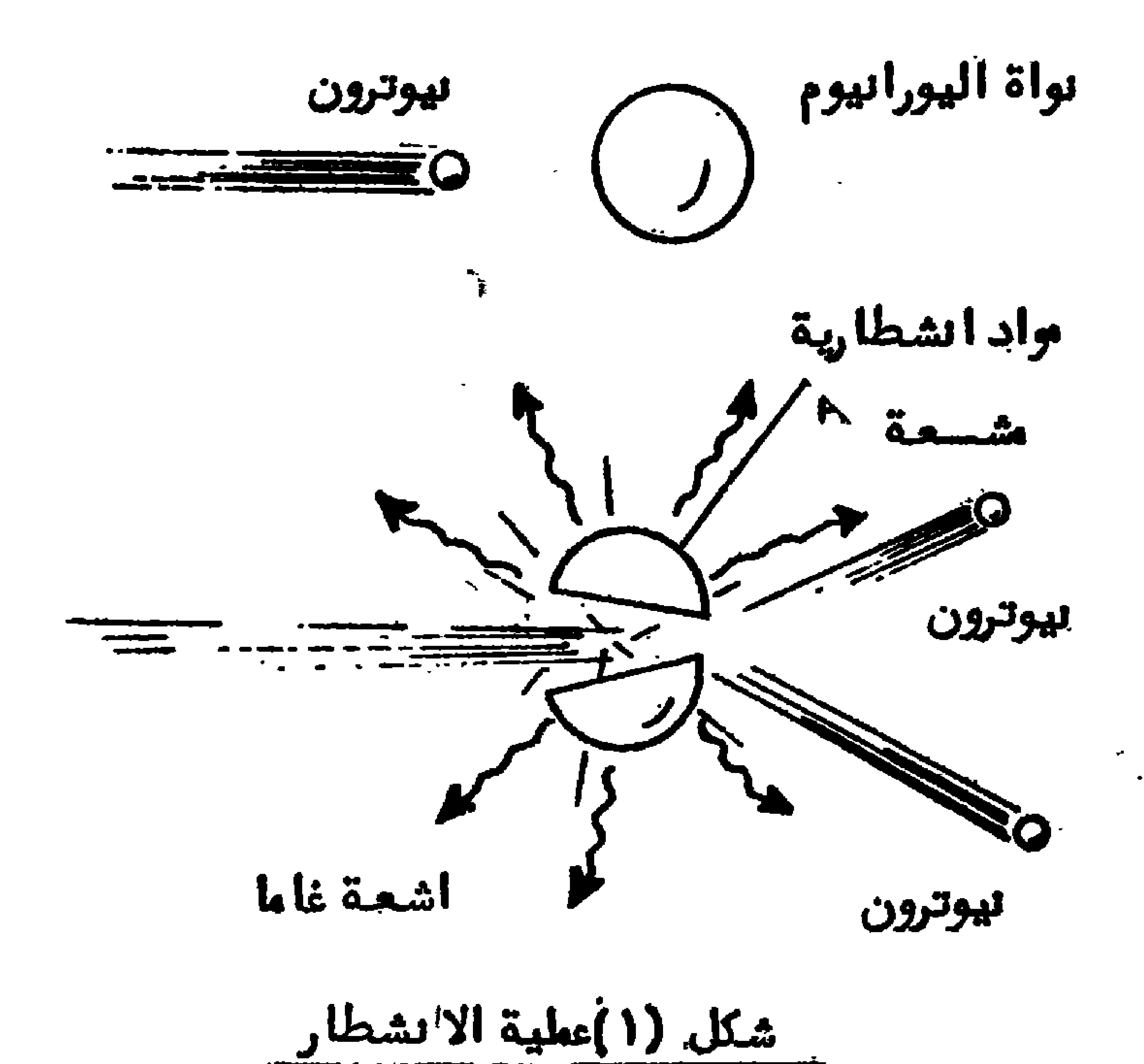
درج العالم على استعمال مصطلح القنبلة الذرية والحرب الذرية بعد القاء أول قنبلتين على اليابان عام ١٩٤٥ ، وبقي هذا الاستعمال شائعا حتى بداية الخميسينيات ، ومع تقدم الأبحاث والتجارب في هذا المضمار أصبح المصطلح (النووي) شائعا أيضا الى جانب المصطلح الأول ، بل ان الثاني اكثر شيوعا ·

وبما ان الطاقة تتولد من عمليتي الانشطار والالتحام النوويين ، وتحدثان في النواة عن طريق انشطار الأجزاء الأقل صغراً في الذرة ــ النواة ــ أو عن طريق التحام الأجزاء الأقل صغراً مع بعضها ، وتحدث كلتا العمليتين في وضمن نواة الذرة ، فان اطلاق لفظ « القنبلة النووية أو السلاح النووي » هو اكثر دقة من لفظ (القنبلة الذرية أو الحرب الذرية)(٧) ·

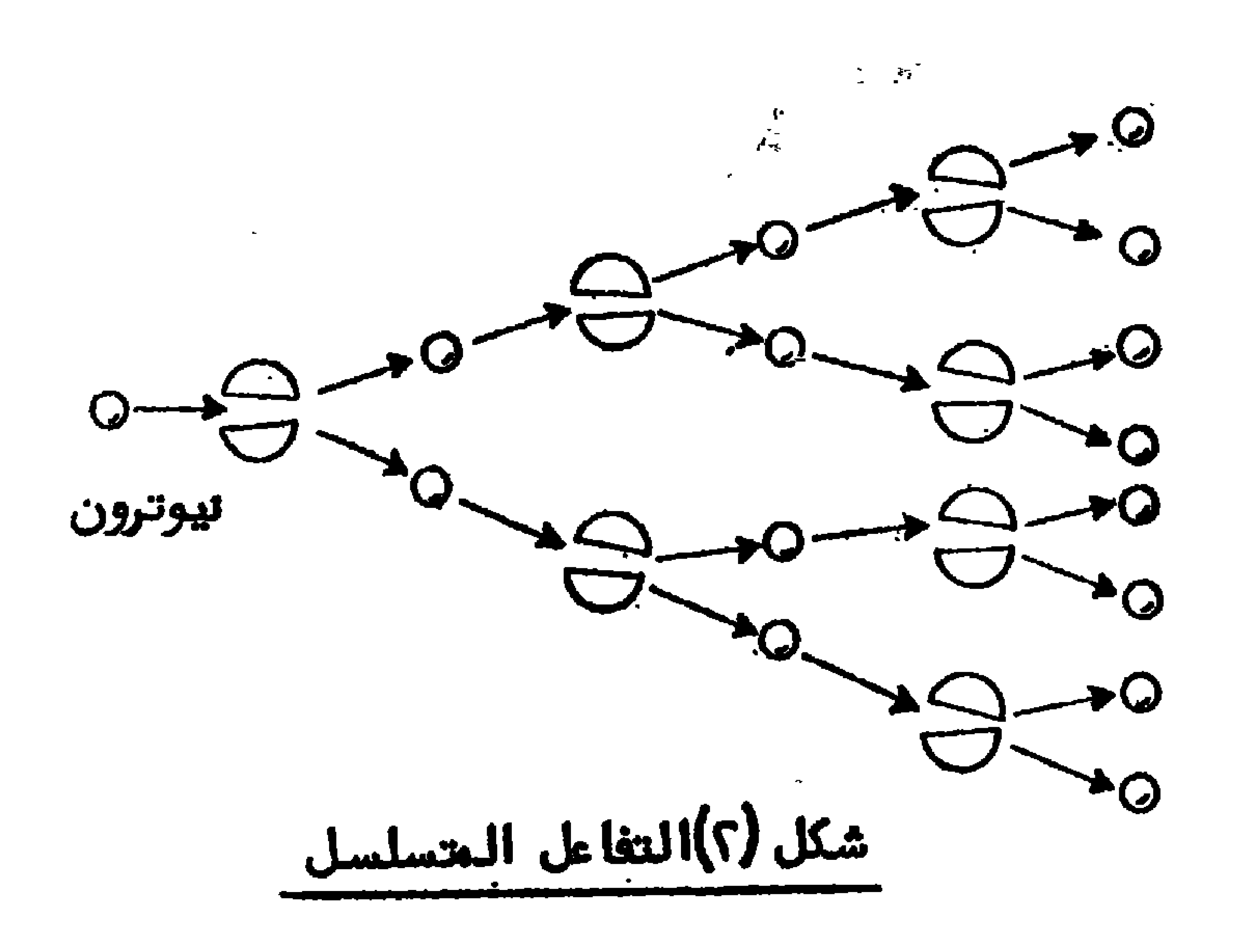
تعــــاريــــف

الـــذرة

هي اصغر جزء في عنصر أي مادة ولها نفس خواصها ، وهي حجر البناء الاساسي في هذا الكون ، ولم يستطع أي انسان ان يراها ولن يستطيع ، ويمكن وضع بليون ذرة على رأس دبوس ويبقى مكان فارغ على رأس الدبوس ، واذا آمكن صف مئة مليون ذرة وراء بعضها البعض فلا تكاد تؤلف خطأ طوله بوصة واحدة · وتتكون الذرة من البروتونات والنيوترونات والألكترونات ·



شكل (١) عملية الانشطار



شكل (٢) التفاعل المتسلسل

البروتـــون

يمثل البروتون شحنة كهربائية موجبة (واحدة) ويحدد عدد البروتونات في أي نواة ذرية خصائصها الكيميائية ، فمثلا يوجد بروتون واحد في ذرة الهيدروجين واثنان في مادة الهليوم ٠

النيوتـــرون

ذو شحنة كهربائية محايدة ، ويختلف عدد النيوترونات في نواة ذرة أي عنصر عن الآخر ، بينما يكون عدد البروتونات ثابتا في نواة ذرات العناصر المختلفة ، وتساوي كتلته كتلة البروتون ٠

الألكتـــرون

أجزاء صغيرة جداً تحيط بالنواة وتحمل شحنة كهربائية سالبة ، وعدد هذه الأجزاء مساو لعدد البروتونات (الموجبة) في النواة الواحدة ، وتساوي كتلتها ١/١٨٣٧ من كتلة البروتون ، وعندما تقذف الالكترونات بواسطة مادة مشعة يشار اليها غالبا على انها (جزيئات بيتا) ويمكن ايقاف هذه الجزيئات بقطعة خشبية سماكتها بوصة واحدة أو بلوحة سميكة من الألومنيوم ٠

التدمير المؤكد

القدرة على ايقاع درجة عالية من العطب على مراكز العدو السكانية والصناعية والقوات العسكرية والموارد الأخرى ، حتى بعد امتصاص ضربة نووية مفاجئة من قبل قوات العدو النووية ٠

التفاعل المتسلسل

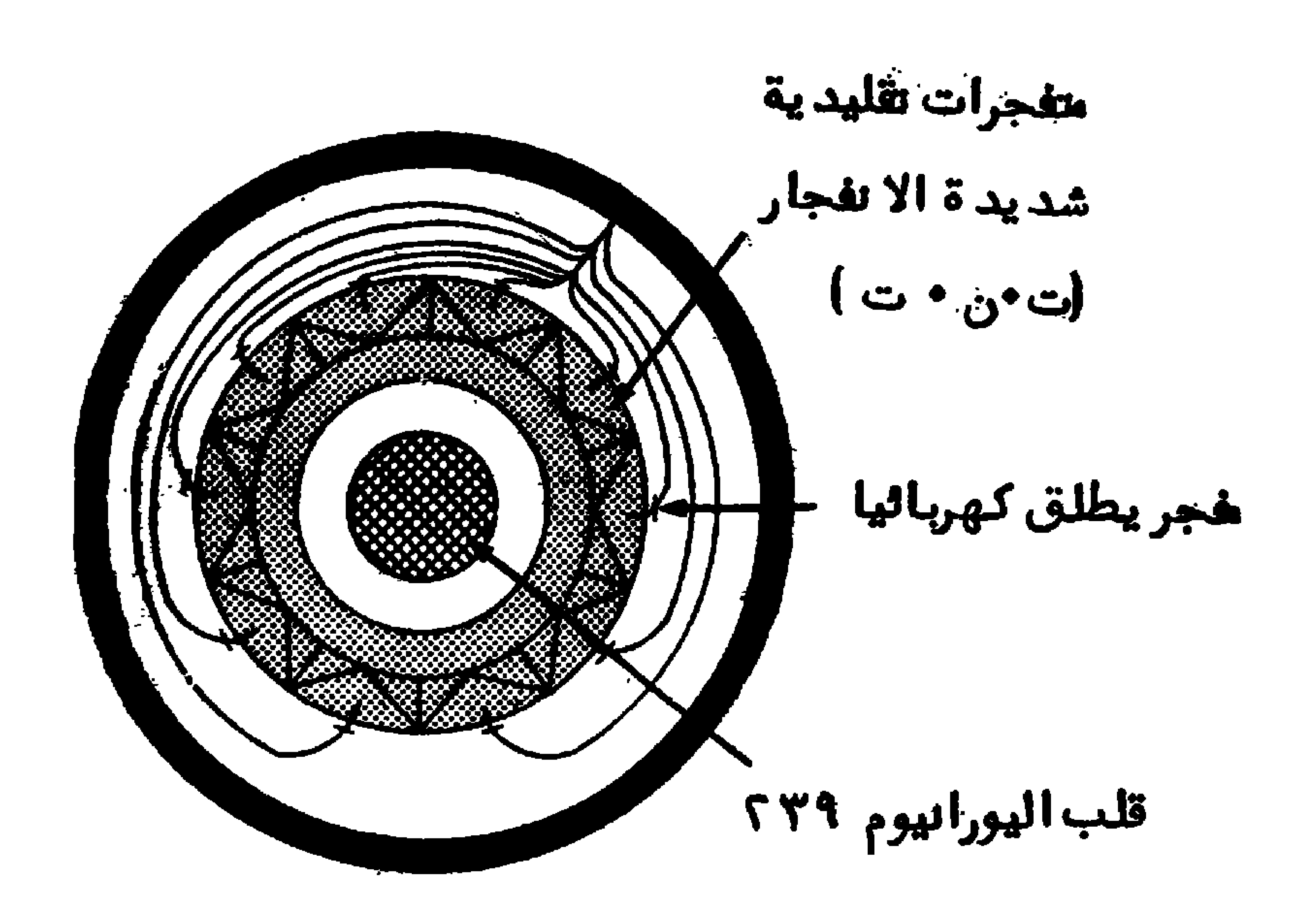
سلسلة من عمليات التفاعل الذاتي تقع عندما يحطم النيوترون الذرة ، مطلقاً عدداً كافياً من النيوترونات مما يجعل الذرات الأخرى تتحطم بنفس الطريقة ٠

الكتلة الحرجة

اصغر كمية من المادة الانشطارية قادرة على ادامة التفاعل المتسلسل ٠

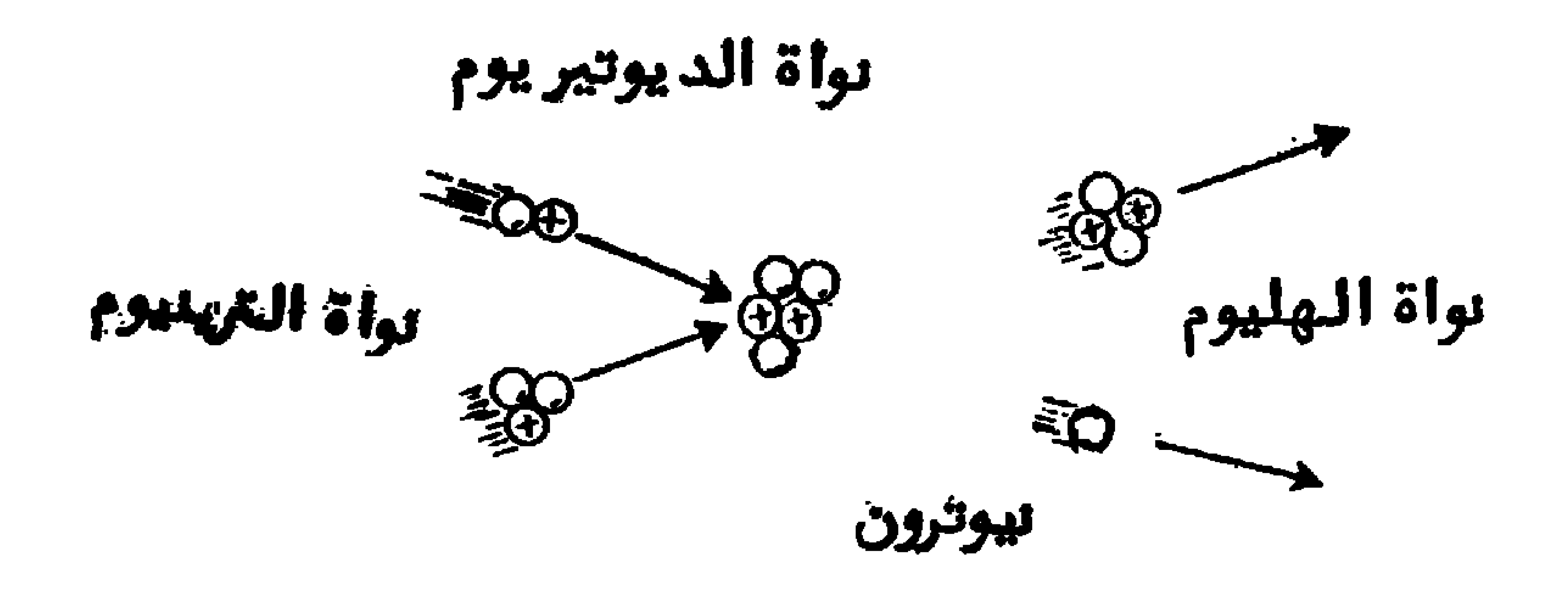
الـــردع

استراتيجية أو موقف يقتنع فيه قادة العدو أن العدوان ليس بديلا جذابا لان الخسائر المتوقعة (وخطر التصعيد) تزيد عن المغانم ٠





شكل (٣) قنبلة نووية (انشطارية)



شكل (٤) عملية الالتحام

الوقود المثرى

يورانيوم تم تعديله بزيادة تركيز النظير المشع من اليورانيوم ٢٣٥ والوقود المثرى اكثر قدرة على ادامة التفاعل المتسلسل ويستعمل عادة كوقود لمحطات القوى النووية ٠

التساقـــط

الجزيئات المشعة التي تُحمل الى طبقات الجو العليا بفعل الانفجار النووي ثم تسقط على الأرض باتجاه الريح من نقطة الانفجار ، وغالبا ما تسقط مع المطر (في هذا الكتاب استعملت كلمة الغبار الذري بدلا من التساقط) ٠

الضربة الأولى

يعني هذا حرفيا ، الحركة التعرضية الأولى في الحرب ، ويستعمل هذا المصطلح للدلالة على هجوم نووي رئيسي على قوات العدو النووية مثل مخابىء الصواريخ العابرة للقارات ـ بالنسبة للدول العظمى ـ وقواعد القاصفات ٠٠٠ الخ ، ويطلق عليها أيضا الضربة الاستباقية أو الوقائية ٠

الانشطـــار

تحطيم أو تكسير ذرة ثقيلة الى ذرتين جديدتين ، وعندما يتم تحطيم ذرة ثقيلة كذرة اليورانيوم ، ينتج عن ذلك كميات كبيرة من الطاقة كما ينطلق اثنان أو ثلاثة نيوترونات عادة ٠

الالتحـــام

هو ضم نواتين ذريتين مع بعضهما في تفاعل يطلق كميات كبيرة من الطاقة وواحداً أو اكثر من البروتونات ٠

أشعـة غامـا

اشعاع كهرومغناطيسي ذو طاقة عالية يقذف من النواة ٠ واشعة غاما هي نفس أشعة اكس ويتطلب ايقافها وجود حاجز سميك مثل حائط الطوب ٠

أرض الصفر

يتم تفجير القنابل النووية فوق سطح الأرض أو في الجو أو تحت السطح ، لذلك فان نقطة الصفر هي : النقطة على سطح الأرض التي يشتعل عليها السلاح النووي ٠

أما في الانفجار الجوي فهي النقطة الكائنة فوق سطح الأرض التي تقع مباشرة تحت نقطة اشتعال السلاح النووي ·

الماء الثقيل

الماء الذي تحتوي فيه ذرات الهيدروجين نيوتروناً زائداً ، وتسمى هذه الذرات ديوتيريوم ·

الأسلحة النووية الاستراتيجية

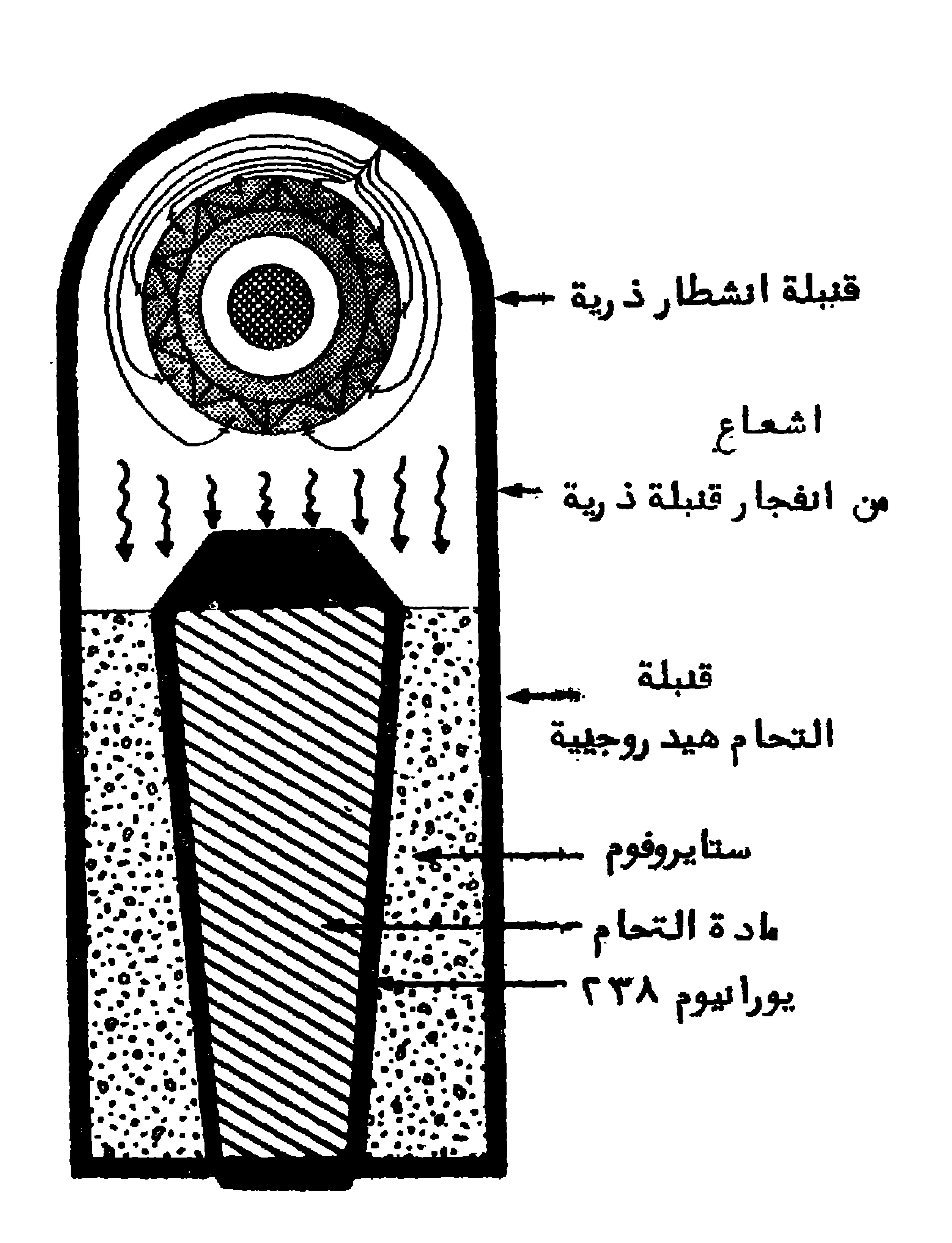
هذا المصطلح يدل بشكل عام على وسائط ايصال السلاح النووي بعيدة المدى ، كالصواريخ البالستيكية العابرة للقارات والغواصات حاملة الصواريخ النووية ، والطائرات القاذفة بعيدة المدى ·

الأسلحة النووية التعبوية (التكتيكية)

مصطلح يشير بشكل عام الى الاسلحة النووية التي تستعمل في ميدان المعركة أو في حالات حرب نووية محدودة · ومثال ذلك يطلق على الاسلحة النووية الامريكية المركزة في أوروبا ومع حاملات الطائرات اسم الاسلحة النووية التعبوية ·

الرأس الحربي

هو ذلك الجزء من الصاروخ أو مقذوف آخر والذي يحتوي على المتفجر النووي أو متفجر آخر ·



شكل (٥) قنبلة هيدروجينية (التحام)

الهوامش

١ ـ Nuclear War, Ground Zero Fund Inc. 1982, Page 30.

٢ ـ الامكانات النووية للعرب واسرائيل ، الدكتور صدقي يحيى مستعجل ، ١٩٨٣ ، صفحة ٢٩ .

٣ ـ نفس المصدر في التسلسل (١) أعلاه ، صفحة ٣٠ ـ ٣١ .

٤ ـ مترجمة بتصرف عن المصدر السابق ، صفحة ٣١ ـ ٣٢ .

٥ ـ هذه الفقرات مقتبسة بتصرف عن المصدر السابق ، صفحة ٣٣ ـ ٤٠ .

٦ ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ١٣٩ ـ ١٤٢ .

٧ ـ الامكانات النووية للعرب واسرائيل ، الدكتور صدقي يحيى مستعجل ، ١٩٨٣ صفحة ٦٢ .

الفصل الثاني

الخيار النووي الاسرائيلي

يمكن القول ان اسرائيل بدأت الخطوة الأولى في سبيل الحصول على الخيار النووي بعد مولدها مباشرة على أرض فلسطين ، فتم انشاء مؤسسة الطاقة النووية تحت اشراف وزارة الدفاع في شهر آب ١٩٤٨ ٠ وقد ارسلت الوزارة على الفور خمسة شبان للتخصص في العلوم النووية في دول أوروبا وامريكا وهم : دي شاليت ، يكو تيالي ، غولد رينغ ، تالمي وبيلاح ، وعاد هؤلاء عام ١٩٥٤ حيث أسسوا دائرة الفيزياء النووية في معهد وايزمان الذي كان فيه دائرة للنظائر المشعة تأسست عام ١٩٤٩ ٠

وفي ١٣ حزيران ١٩٥٣ أنشأت حكومة بن غوريون وكالة الطاقة النووية ضمن وزارة الدفاع ، واسندت رئاستها الى أرنست بيرغمان المدير العلمي لمعهد وايزمان ، وقد ضمت هذه الوكالة بالاضافة الى رئيسها الاعضاء التالية اسماؤهم : البروفيسور اسرائيل دوستروفسكي ، رئيس الاركان السابق الجنرال يعقوب دوري ، البروفيسور كوهن ، البروفيسور راكاح ، والبروفيسور سامبو رسكي ، والأخير كان يشغل منصب رئيس المجلس العلمي بمكتب رئيس الوزراء(١) ٠

تم حصر جميع البحوث النووية ضمن وزارة الدفاع ، وأخذ نشاط البرنامج يعمل في اتجاهات متعددة ، فجرى تطوير طريقة خاصة لاستخراج اليورانيوم من الخامات التي تحوي نسبة ضئيلة منه لاستعمالها في فصل اليورانيوم من خامات النقب ، واكتشف البروفيسور دستروفسكي طريقة لانتاج الماء الثقيل أقل تكلفة ، وأقيم مصنع لهذا الماء في معهد وايزمان بروحبوت عام ١٩٤٩(٢) ٠

ومنذ مطلع الخمسينات أخذت فرنسا تسرع الخطى للحاق بالركب النووي ، وكانت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتي قد سبقوها في هذا المضمار ، واغرت بعض ميزات البرنامج الاسرائيلي فرنسا للتعاون ، فعقدت معاهدة سرية بين كل من وكالة الطاقة النووية الفرنسية ووكالة الطاقة النووية الاسرائيلية ، فاشترت فرنسا براءة الاكتشاف المتعلق بالماء الثقيل ، كما سمح لها باستخدام الطريقة الاسرائيلية لاستخراج اليورانيوم ، ومقابل ذلك فتحت فرنسا أبواب منشئاتها النووية أمام الاسرائيليين للتدرب ، وقام عدد من الخبراء الفرنسيين في المجال النووي بزيارات لاسرائيل ٠ واستغل بن غوريون دور اسرائيل في المؤامرة الثلاثية على مصر ،

واشترط على فرنسا امداد اسرائيل بأسرار الذرة وموادها الأولية المتوفرة لديها . وفي عام ١٩٥٧ قدمت فرنسا لاسرائيل مفاعلا نوويا بطاقة ٢٥ ميغاواط ، ويستخدم اليورانيوم الطبيعي كوقود ، والماء الثقيل كمهدىء ، أقيم في موقع (ديمونا) بصحراء النقب ، وقد اكتشفته المخابرات الامريكية في كانون أول ١٩٦٠ ، واحتجت الولايات المتحدة على ذلك بشدة ، مما اضطر بن غوريون لأن يفصح عن وجود المفاعل أمام الكنيست ، وذلك يوم ٢١ كانون أول عام ١٩٦٠(٣) .

لقد اتاح التعاون النووي مع فرنسا لاسرائيل الحصول على ثروة من المواد والمعلومات التقنية ، وفرصة ذهبية لتدريب العلماء والفنيين الاسرائيليين في منشئات اكثر تطوراً وتعقيداً ، والحصول على عصارة تجارب العلماء الفرنسيين الذين كانوا قد قطعوا شوطا متقدما في هذا المضمار ، ولديهم عدة سنوات من الخبرة ، والخلاصة أن التعاون الفرنسي الاسرائيلي هيأ لاسرائيل فرصة العمل والسير نحو برنامج نووي متقدم نسبيا ، مما اعطى البرنامج النووي الاسرائيلي مسيرة اسرع من كثير من البلاد الأخرى(٤) .

كانت فرنسا هي عراب البرنامج النووي الاسرائيلي حيث ساعدت على وضع أسس العمل في هذا البرنامج ، وفتحت مؤسساتها النووية أمام العلماء الاسرائيلين ، ولم تبخل عليهم بالمعلومات القيمة التي كان قد توصل اليها العلماء الفرنسيون ، ولكن الولايات المتحدة هي التي زودت اسرائيل بأول مفاعل نووي بموجب اتفاقية عقدت سنة ١٩٥٥(٥) .

ومن هنا يمكن التحديد ، أن العصر النووي في اسرائيل بدأ في أواخر الخمسينات ، وكانت قد تمت في هذه الحقبة عدة ابحاث ودراسات ، وتحركت اسرائيل للاستفادة من اعلان الرئيس ايزنهاور عن برنامج (الذرة من أجل السلام) ــ ٨ كانون أول ١٩٥٣ ــ وبموجب هذا الاعلان عقد اتفاق بين الدولتين في ١٢ تموز ١٩٥٥ ، فتم تزويد اسرائيل بأول مفاعل نووي ، وهو مفاعل أبحاث بطاقة ٥ ميغاواط ، أقيم في (ناحال سوريك) جنوبي تل ابيب قرب معهد وايزمان . وقد بدأ العمل به في ١٦ حزيران ١٩٦٠ . ومع هذا المفاعل حصلت اسرائيل على ستة كيلو غرامات من اليورانيوم المثرّى بنسبة ٢٠٪ ، وعلى مكتبة تتعلق بالطاقة النووية ، وعدلت الاتفاقية عام ١٩٥٩ لترفع نسبة الاثراء الى ٩٠٪ ، وزادت كمية الوقود المقدم من الولايات المتحدة الى ثمانية غرامات(٦) . وهذا الوقود بحد ذاته صالح لصنع القنابل النووية، ولكن الولايات المتحدة فرضت مراقبة مشددة على هذا المفاعل الذي يقوم بتدريب الخبراء

والفنيين الاسرائيليين ، ويعتبر نافذة اسرائيل على العالم للمعومات النووية ، ومن الصعب استعمال هذا المفاعل للاغراض العسكرية حيث انه لا ينتج البلوتويوم ، وتحت اشراف وكالة الطاقة النووية الدولية ، ولكن هذا المفاعل يعتبر عاملا مساندا لأي مفاعل متكامل آخر مثل مفاعل (ديمونا) ، ويشكل الاثنان مصدر القدرة الاسرائيلية للوصول الى الخيار النووي ٠

سارت الدراسات النووية مع بداية الستينات لانشاء محطات نووية جديدة ، منها ما هو لتحلية مياه البحر وتوليد الطاقة وتمت اقامتها وباشرت عملها ، وكان آخرها وأهمها ما ورد في المشروع الذي اقترحه الرئيس نيكسون عام ١٩٧٤ لتزويد مصر واسرائيل بمحطات نووية ووقودها ، وبموجب ذلك تشتري اسرائيل مفاعلين لتوليد الطاقة ، ويبدأ بناء المحطة الأولى عام ١٩٨٠ في نيتزانيم في الجنوب ، وتبدأ عملها عام ١٩٨٥ ، ثم تتبعها محطة ثانية بعد ثمانية عشر شهراً(٧) ٠

مفاعل ديمونا

يعتبر مفاعل ديمونا من اكبر مفاعلات الابحاث النووية في العالم ، وطاقته ٢٥ ميغاواط حراري ، وقد تسربت اخبار في السنوات الأخيرة ان طاقته قد تضاعفت ولكن ذلك غير مؤكد بعد ٠ ويستخدم اليورانيوم الطبيعي كوقود ، ويحتاج من عشرين الى خمسة وعشرين طناً في العام ، ويستعمل الماء الثقيل كمهدىء ، وثاني اكسيد الكربون كمبرد ٠ وقد بقي كل ما يتعلق بهذا المفاعل سراً حتى الآن ، واقيم منذ البداية للاغراض العسكرية ، ويستطيع ان ينتج من ٨ ـ ١٠ كغم من مادة البلوتونيوم سنوياً ، وهي كمية تكفي لصنع قنبلة ونصف من نوع قنبلة نغازاكي (١٧ كيلو طن) ، ولا يخضع لاي تفتيش أو رقابة(٨) ٠

وبالاضافة الى المفاعلات القائمة في اسرائيل ، فأن الجهد النووي الاسرائيلي يعتمد على عدة منشئات أخرى هامة كدوائر الفيزياء والهندسة النووية في الجامعات والمختبرات٠ والاهتمام بالبرنامج النووي ينبع اساسا من امكاناته العسكرية ، ويكمل مفاعل ديمونا ومفاعل ناحال سوريك أحدهما الآخر من حيث الأهمية للبرنمج المذكور(٩) ٠

حوافز امتلاك السلاح النووي

كانت نوبات القلق على مصير اسرائيل وبقائها تجتاح عقل بن غوريون منذ البداية ، وكثيراً ما كان يفصح عن ذلك للمقربين اليه والمساعدين ، ومن ذلك قوله : « لا استطيع النوم في الليل ولو ثانية واحدة ، هناك خوف واحد في قلبي هو حدوث

هجوم موحد للجيوش العربية » ، ويضيف متسائلا : ما هي اسرائيل ؟ انها بقعة صغيرة ، كيف يمكنها البقاء في هذا العالم العربي ؟ .. وفي لقائه الأول مع الجنرال ديغول في شهر حزيران عام ١٩٦٠ ، قال بن غوريون للجنرال : لا حاجة لتجمع عربي للهجوم على اسرائيل اذ تستطيع مصر وحدها القيام بذلك اذا حصلت على طائرات أفضل ، ولو ان بن غوريون وعد الرئيس الفرنسي وقتئذ ان المفاعل النووي الذي كان يجري بناؤه في اسرائيل ـ مفاعل ديمونا ـ ليس له أية غايات عسكرية ، ومن خلال محادثة بن غوريون الآنفة مع الرئيس الفرنسي واحاديثه لمساعديه ، فقد عبر عن تخوفه الكبير من الميزة النوعية التي تتمتع بها القوات الاسرائيلية على انها غير كافية للوقوف في وجه الميزة العددية للعرب ، ولا يرى سوى حلين لهذه المعضلة :

الأول : الدعم الخارجي عن طريق التحالف مع الدول الغربية .

والثاني : تطوير قوة رادعة مستقلة ، والحل الأخير هذا يعني الاعتماد على قوة غير الاسلحة التقليدية ، وهي بدورها كانت مصدر قلق لبن غوريون ، ولكن القوة التي كان يتصور ايجادها بيد اسرائيل ، هي قوة سلاح التدمير الشامل ، أي السلاح النووي ، وبذلك يلغي ميزة التفوق العددي للعرب(١٠) .

منطلقات بن غوريون

كان بن غوريون دائم التفكير في المشكلة اليهودية ويعبر في اقواله عن مدى الخوف وعدم الثقة بالآخرين والانطواء على عقلية (الغيتو) وقد قال : « ان اسرائيل ليس لها في العالم غير حليف واحد وفي وهو الشعب اليهودي ، اسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي لا اقارب لها سواء من ناحية الدين واللغة والأصل .. كتلك القرابات التي تربط مثلا بين الدول العربية .. أو الاسكندنافية أو البوذية .. أو الكاثوليكية .. أو الانكلو سكسونية .. اننا شعب يعيش في هذا العالم بمفرده »(١١) .

وفي ١٩٦٧/٩/١٢ جرى احتفال بمناسبة مرور تسعين عاماً على انشاء مستعمرة (بتاح تكفا) فقال بن غوريون : « ان الدولة اليهودية الحقيقية التي تكون ملاذا للشعب اليهودي لم تقم بعد ، وكذلك لم يتحقق جمع الشتات ويجب علينا ان نهتم باستيعاب ملايين المهاجرين اليهود ، وزيادة التكاثر الطبيعي من معدل ٢ ـ ٣ أطفال في الأسرة الواحدة ، الى ٤ ـ ٦ أطفال ، وبذلك نستطيع ان نضمن مستقبلنا »(١٢) .

ونشرت جريدة (جيروزاليم بوست) في عددها الصادر بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٦٩ تصريحا لبن غوريون وقالت انه أفضى به أصلا لصحيفة (لوموند) الفرنسية جاء فيه :

« ان اسرائيل يجب أن تستوعب عدة ملايين جديدة من المهاجرين وأن توسع حدودها بحيث تشمل ضفتي الأردن ، لكي تستطيع ان تواجه التفوق العددي للدول العربية ، بحيث نستطيع ان ندخل الى اسرائيل أربعة أو خمسة ملايين يهودي جدد ، فأن جيشنا بغير ذلك لن يكون ضامنا للنصر ، لان التفوق العددي للعرب يجتاح المنطقة ، والعرب مثلنا يتقدمون في مجالات استيعاب التكنيك الحديث ، ولن نستطيع ان نقاومهم الى ما لا نهاية ، ما لم نخلق أمة أعلى نوعية وأكبر عدداً ٠٠ أن اسرائيل أيضا بحاجة الى زعامة قديرة ، الأمر غير المتوفر حالياً ، ان اسرائيل التي حلمنا بها لم تخلق بعد » ٠

كانت تلك بعضا من أقوال بن غوريون الباني الأول لاسرائيل وقائدها ومخطط استراتيجتها في حقبتي الخمسينيات والستينيات ، وقد عبر عن ذلك بعد النصر الاسرائيلي الساحق في حرب حزيران ١٩٦٧ ، وظهور اسرائيل أمام العالم بمظهر المنتصر في حرب السويس ١٩٥٦ ، عندما تحالفت مع بريطانيا وفرنسا ٠

وعلى اساس هذا التفكير والعقيدة التي كان يتبناها بن غوريون حول بقاء اسرائيل وسط المحيط العربي ، وان العرب لا يفهمون سوى لغة القوة – على هذا الاساس اصدر أمراً للمباشرة ببناء الخيار النووي لاسرائيل ، ولم يعرف بذلك في البداية سوى اثنين من المساعدين والمقربين اليه هما موشي دايان وكان يشغل منصب رئيس الاركان ، وشمعون بيريز الذي كان يشغل منصب المدير العام لوزارة الدفاع – كان بن غوريون رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع – ولم يكن أحد غير هؤلاء الثلاثة يعرف ماذا يجري بمن فيهم اكثر اعضاء وزارة بن غوريون اقدمية(١٣) ٠

وقد اتخذ القرار عقب انسحاب اسرائيل من سيناء في بداية عام ١٩٥٧ ، وكان هناك تهديد من امريكا باستخدام العقوبات السياسية والاقتصادية اذا لم ينفذ هذا الانسحاب ، وتلويح سوفيتي باستخدام القوة العسكرية ٠ وتبين فيما بعد ان من جملة شروط التعاون الفرنسي الاسرائيلي في العدوان على مصر أن تقوم فرنسا بامداد اسرائيل باسرار الذرة وموادها الأولية المتوفرة لديها ، وكانت فرنسا تقوم بتنفيذ برنامج نووي واسع ومستقل للحاق بالركب النووي العالمي ، حيث أكدت وزارة (جي موليه)، وقررت بعد حملة السويس على حرية العمل الفرنسية في المستقبل ، مستقلة عن حليفاتها من الدول العظمى الأخرى ٠

كان قرار بن غوريون بتبني الخيار النووي أيضا لارضاء حالته النفسية والاطمئنان على مستقبل اسرائيل ، فقد اسسها وخدمها فترة طويلة من عمره ، وكان يدرك ان

عدد سنوات عمره الباقية قليلة ، فقد وصل عام ١٩٥٧ الى سن الحادية والسبعين ، فاراد ان يترك لمن يخلفه أقوى قدرة دفاعية يمكنه تحقيقها ، فكان الخيار النووي هو الخيار الوحيد الأمثل لتفكيره وعقليته · وفي شهر حزيران من عام ١٩٦٣ قام بن غوريون قبل ان يتقاعد بزيارة الى سلطة التطوير والتسليح ، وفي جلسة مغلقة حضرها الاعضاء الموثوق بهم فقط ، أوجز بن غوريون بصورة سرية رؤيته لمستقبل اسرائيل فقال : « اننا بحاجة الى جميع الوسائل للدفاع ، ولا أريد أن أقول ما هي الوسائل الاكثر فاعلية وما هي أهميتها ، نستطيع ضمان أمننا فقط اذا عرف اعداؤنا اننا نملك سلاحاً مؤثراً نرد به عليهم »(١٤) ·

بيريز والتوازن النووي

مقابل تخوف بن غوريون من الكثرة العربية ، فأن شمعون بيريز يقدم نقاشا آخر يدعم به اعتقاده وهو : ان اسرائيل لن يكتب لها البقاء على المدى الطويل اذا استمرت تعتمد على توازن الاسلحة التقليدية ، ويعتقد ان حدود اسرائيل ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، لم يكن ممكنا الدفاع عنها بوسائل الحرب التقليدية ، ويضيف : ان الشكل الطولي لاسرائيل حصلنا عليه بواسطة جنودنا ومزارعينا ، ولكن حقيقة الوجود العربي أخذ منا عرض البلاد ، ومن وجهة نظر الأرض والقوة البشرية فأن العرب يملكون ميزة هامة كما يراها بيريز ، ولذلك يبرر قصده للحصول على سلاح مؤثر لابطال فعالية ميزة الكثرة العددية ، واضافة عوامل جديدة للتعادل ، بل وربما انهاء هذه الميزة في مجال الأمن المطلوب لاسرائيل ، وبكلام آخر يريد بيريز أن يقول ان الاسلحة النووية ستلغي نسبة التفاوت القائمة بين اسرائيل والعرب من حيث العدد ، وانها ستخلق مقياسا جديداً يكون فيه الجانب المتفوق هو الذي بحوزته رؤوس نووية أكثر(١٥) ·

ويعتقد بيريز ان توازن القوة النووية سيكون مصدر أمل وليس مصدر خوف ، فاذا امتلك الطرفان السلاح النووي ، فقد تكون نواياهما العدوانية أقل ، وقد يستبعد خطر الحرب ، لان كل طرف يدرك تماماً حقيقة ما تحدثه الحرب النووية من دمار للغالب والمغلوب · ويضيف بيريز قائلا : « ان السلاح النووي أو العلم يجلب معه السلام ، وان السلام لن يأتي من تلقاء نفسه ، ولن يأتي من قبل القوى الاجنبية ، ولن يقفز فجأة على الأرضية السياسية الحالية في الشرق الأوسط ، ولكن باستطاعة اسرائيل تقريب السلام — اذا اقنعت العرب وذلك بمساعدة العلم — ان باستطاعتها الغاء فرصتهم لهزيمتها سواء في الحاضر أو المستقبل ·

ويرفض بيريز فكرة المقارنة بين اسرائيل والدولة الصليبية التي قامت على أرض فلسطين في القرن الثاني عشر الميلادي ، ويحبذ هذه المقارنة الذين يعتقدون ان الدولة اليهودية لن يكتب لها البقاء على المدى الطويل ، ويدافع بيريز عن وجهة نظره بقوله : « ان العالم يتقدم باضطراد الى النقطة التي يصبح فيها شن الحرب من أي كان جنونا مطلقا ، ولن يتأخر الشرق الأوسط في مجالات التطور ، وهذا المفهوم طبقا لصراع اسرائيل من أجل بقائها الذي يعتبر فترة مؤقتة سوف ينتهي عندما يسود السلام في المنطقة ـ حسب تعبير بيريز ـ ويضيف أن على اسرائيل ان تعمل في اتجاهين الأول الوصول الى اتفاقات سياسية لا تضر بأمنها من جهة ، والثاني البرهان على قدرتها غير المشكوك فيها للردع والسيطرة في المجال العسكري ، ويؤكد انه ليس كافيا ان يكون لدى اسرائيل القنبلة النووية ، بل يجب ان يكون العرب على علم بهذه الحقيقة ـ بخلاف السياسة المتبعة حالياً في اسرائيل ـ وان على اسرائيل ان تعلن الاستراتيجية النووية أما مبنية على خياراتها أو على مخزون نووي حقيقي » ٠

وفي معرض رد بيريز على سؤال لصحيفة «معاريف» حول قدرة اسرائيل للوصول الى الخيار النووي قال : « من حسن حظنا نعم ، ولكن اسرائيل طورت امكاناتها النووية تحت قيد واحد معلن ، وهو انها لن تكون أول من يدخل السلاح النووي الى الشرق الأوسط ، ويبقى خطر اجتياز العتبة النووية قائما ، ويجب أن نكون مستعدين له » ٠

وبالنسبة لمفهوم بيريز فأن وجود الخيار النووي هو جزء اساسي وهام لأمن اسرائيل حتى تجابه القوة البشرية واتساع الأراضي اللتين في صالح العرب ، ويضيف : « انه على المدى الطويل ، سيكون الشرقالأوسط مهيئا لقبول اسرائيل ، وحتى يحين ذلك الوقت ، فيجب أن يكون لدى اسرائيل (تفوق في حفرة) أي قنبلة نووية مخبأة ، من أجل ضمان النجاح في صراعها من أجل البقاء » ٠

دايان وانتاج القنبلة

بن غوريون هو الذي قرر أن على اسرائيل المباشرة في بناء الخيار النووي ، وشمعون بيريز هو الذي كان مسئولا في البداية عن تنفيذ المشروع ، وقام موشي دايان بمتابعة القرارات في أواخر الستينيات « من احتمال امتلاك السلاح النووي الى انتاج القنبلة » ٠ وكان دور موشي دايان رئيساً في هذا المجال منذ تشرين أول عام ١٩٥٧ ، حيث كان يشغل منصب رئيس الاركان ، وعلى علاقة خاصة وحميمة مع بن غوريون الذي كان يقدره اكثر من أي ضابط آخر في سرائيل ٠ وهذا اعطى لدايان مركز نفوذ خاص بين المجموعة الصغيرة من صانعي القرار في اسرائيل(١٦) ٠

وفي الرابع من تموز عام ١٩٦٣ ، واثناء حفلة تذكارية لرئيس الهاغاناة السابق « الياهو كولومب » ، تحدث كل من دايان وبيريز ، واعربا عن تأييدهما لفكرة امتلاك اسرائيل للسلاح النووي ، وزعماء ان مفتاح بقاء اسرائيل كدولة يكمن في التحول والاعتماد على انجازات التكنولوجيا في السبعينيات ، وتسليح الجيش الاسرائيلي بمعدات المستقبل ٠

كانت المشاكل السياسية المحلية في اسرائيل في أواسط الستينيات سببا في انسحاب كل من بن غوريون ودايان وبيريز من حزب «الماباي» ، وتأسيس حزب «رافي» ، ولم يبق لهم سوى تأثير قليل على صنع القرار ، وهم الفريق الذي تبنى عملية بناء الخيار النووي لاسرائيل وباشروا التنفيذ ، وقبل أيام قليلة من حرب حزيران ١٩٦٧ عاد دايان الى الحكم كوزير للدفاع ٠ ومع ان تلك الحرب اظهرت تفوق اسرائيل في السلاح التقليدي ، الا أن حرب الاستنزاف التي اعقبت تلك الحرب ، اقنعت دايان ان لا جدوى من اعتماد اسرائيل على الاسلحة التقليدية ، اذا واصل العرب الحرب لان في ذلك نهاية حتمية لاسرائيل ٠

اشار بعض الباحثين الاسرائيليين الى ان اسرائيل انتقلت من مجرد فكرة الخيار النووي الى مرحلة وجود (قنبلة في القبو) عندما كان دايان وزيراً للدفاع في حكومة غولدا مائير ، وقد اتخذ تلك الخطوة نظراً لتوازن القوى في المنطقة بين القوى الكبرى من جهة ، وبين اسرائيل وجيرانها العرب من جهة أخرى ، وكان الاعتبار الأول الذي فرض ذلك الموقف ، هو حظر السلاح الفرنسي الذي بدأه الجنرال ديغول لكون اسرائيل هي الدولة البادئة بالعدوان في حرب عام ١٩٦٧ ، وقد برهن ذلك الحظر كم كانت اسرائيل تعتمد على الدول الأخرى للحصول على السلاح ٠

ومع أن الجيش الاسرائيلي بدأ يحصل على الاسلحة الامريكية قبل الحظر الفرنسي ، الا أن هذا الدرس جعل دايان يميل الى الاعتقاد بأن الاسلحة الامريكية لن تستمر في التدفق على اسرائيل الى الأبد ، وقد تتغير الظروف ، لذلك كان استنتاجه ، ان على اسرائيل الاعتماد على نفسها الى أقصى حد في تأمين المعدات والسلاح لجيشها ٠

وعلى هذا الاساس بُدىء في تقوية وتوسيع الصناعات العسكرية المحلية ، ويعتقد ان التخطيط لانتاج الدبابة والطائرة المقاتلة قد بدأ خلال الفترة التي اعقبت حرب حزيران ١٩٦٧، وأولى دايان اهتماما خاصا لتسريع العمل في المجال النووي بعد تلك الحرب أيضا ، وكان يعتقد أن وجود برنامج نووي مستقل سيعطي اسرائيل مجالا

أوسع للمناورة والعمل على احباط أي تدخل سوفيتي في الشرق الأوسط (اذا كان ذلك واردا في احتمالاتهم) ، وأمام البرنامج النووي الاسرائيلي سيطلب العرب تزويدهم باسلحة سوفيتية ، فاذا نفذ الاتحاد السوفيتي هذا الطلب فانهم ينتهكون (معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية) ، مما يجعلهم يفقدون الثقة والمصداقية في العالم ، وربما يعرضهم ذلك لخطر مواجهة نووية مع الولايات المتحدة . وقد شعر دايان في النهاية ان هذه المخاطر كانت كافية لعدم اقدام الاتحاد السوفيتي على تزويد العرب بالاسلحة النووية . اما اذا رفض الاتحاد السوفيتي تزويد العرب بالسلاح النووي ـ وخاصة اذا رفض تزويد مصر ـ فأن ذلك سيؤدي الى توتر العلاقات بين الجانبين ، وهذا بدوره سيضعف النفوذ السوفيتي في المنطقة ، وحرصت اسرائيل على ايهام الولايات المتحدة بأهمية دورها ، وانها تشكل سداً منيعا أمام النفوذ السوفيتي . وبالطبع لا يستطيع أحد أن يزعم ان القدرة النووية موجهة ضد الاتحاد السوفيتي ، لان اسرائيل في حالة وقوع حرب نووية بين الاتحاد السوفيتي والغرب تشترك فيها الدولة العبرية ، فانها ستغدو ثقبا صغيراً على الكرة الأرضية بضربة نووية سوفيتية واحدة .

مع نهاية حرب الاستنزاف عام ١٩٧٠ ورفض اسرائيل التخلي عن أي جزء من الأراضي المحتلة ، كان دايان يعتقد ان وجهات نظره قد نجحت . وفي مطلع السبعينات صار يدلي بتصريحات مبهمة حول سياسة اسرائيل النووية على اساس ان ذلك هو الأحسن ، ولكن المحتمل ان الخلافات في حكومة غولدا مائير في ذلك الوقت حالت دون الاعلان الصريح عن تبني اسرائيل للعقيدة النووية ، وذلك لابقاء العرب في حالة من الريبة والشك حول وجود مخزون من القنابل النووية لدى اسرائيل . وقد اعرب دايان عن اعتقاده بأن العرب لا يستطيعون بدء حرب ضد اسرائيل حتى نهاية عام ١٩٨٠ ، وذلك على أمل ابقاء العرب متخوفين من قدرة اسرائيل النووية المجهولة ، وقال ان العرب سيحتاجون الى فترة لا تقل عن عشر سنوات لانتاج قنبلتهم النووية .

وخلافاً لتوقعات دايان ، فقد شن العرب حرب اكتوبر ١٩٧٣ قبل ان يمتلكوا سلاحاً نووياً لمجابهة السلاح النووي الاسرائيلي . وكانت هذه الحرب اختباراً لكثير من افتراضات دايان وبرهنت على بطلانها . ولكن دايان استمر في التعبير عن وجهة نظره حول أحسن سياسة نووية بالنسبة لاسرائيل ، حتى بعد أن استقال من منصب وزير الدفاع ، حيث اقترح في محاضرة القاها أمام أعضاء غرفة التجارة الامريكية الاسرائيلية عام ١٩٧٦ ، ان على اسرائيل ان تنتقل الى مرحلة استراتيجية نووية علنية ، أي الانتقال من مرحلة قنبلة في (القبو) الى القدرة النووية العلنية .

كان أحد أهم الاستنتاجات التي توصل اليها دايان من حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ان اسرائيل قد وصلت الحدود القصوى من حيث النوعية ، ومن الصعب عليها على المدى البعيد زيادة حجم جيشها ، وان زيادة عدد الطائرات والدبابات تعني تكاليف مالية عالية ، نظراً لنمو التعقيد والتطوير في الاسلحة ، وتعني كذلك فترات اطول من الخدمة العسكرية للعديد من صغار السن · ومن أجل استمرار طريقة الحياة العادية ، والنشاط الاقتصادي واستيعاب المهاجرين الجدد ، فان كل ذلك يوجب على اسرائيل ضمان توازن القوة مقابل التوسع العربي السريع في القوات العسكرية ، ولا يتم ذلك الا عن طريق تطوير نوعية السلاح الاسرائيلي ـ نوعية تضمن ان كل محاولة عربية لتدمير اسرائيل ستنتهي بتدمير اعدائها ·

وفي كانون أول عام ١٩٧٨ اشار دايان الى التسلح النووي بقوله : « انهم ـ أي الاسرائيلين ـ لن يألوا جهداً في انتهاز كل الفرص لامتلاك الاسلحة النووية ، أو التهديد باستخدامها ضد العرب في حرب جديدة » · ان ما تفعله تل ابيب يبين الأهداف التي من أجلها تخطط لاستخدام الطاقة النووية ، فمن بين جميع دول الشرق الأوسط ، فان اسرائيل هي الوحيدة التيرفضت توقيع معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية ·

ويتساءل دايان : « كيف يمكن لبلد تعداد سكانه ثلاثة ملايين نسمة ـ يعني اسرائيل ـ ان يعدو في السباق ضد العرب الذين لديهم موارد مالية غير محدودة ، وموارد سياسية غير محدودة التأثير ، واعداد هائلة من القوة البشرية ··· ان ما أريد قوله هو انه بالاضافة الى هذا السباق ، علينا ان نطور خياراً لانفسنا ، وهو القدرة على انتاج الاسلحة النووية · نحن لا نستطيع أن نصمد أمام كميات الاسلحة التقليدية التي لدى العرب ··· يجب علينا ان نطور هذا الخيار النووي ، بالاضافة الى الاسلحة التقليدية وليس عوضا عن ما نملكه منها ، وذلك بكميات معقولة نستطيع الحفاظ عليها ، واذا حاول العرب ان يهاجموا اسرائيل ، فانه سيكون لدينا الوسيلة لمحاربتهم ليس بواسطة الاسلحة التقليدية ، وانما بوسطة اسلحة رادعة ذات كفاءة عالية ، أي الاسلحة النووية » ·

وقبل سنة من وفاته أكد دايان وجهة نظره في مقابلة مع صحيفة (هاآرتس) حيث قال : « لا أريد ان ادخل في التفاصيل هنا ، ان مفهوم النوعية ـ أي النوع الأقوي من الاسلحة لاسرائيل ـ هو شيء كاف بالنسبة لي ، وهو مفهوم شامل متعدد ، ابتداء من الاسلحة النووية ، الى الاسلحة الالكترونية ، وانتهاء بالاسلحة التقليدية » ·

وفي السنوات الأخيرة من حياته حث دايان على تأسيس القوة الرادعة الاسرائيلية وفقاً للمعادلة التالية :

« تخفيض حدة النزاع عن طريق تنازلات في الأراضي المحتلة » ، زائداً ، ردع ثابت ضد حرب حاسمة «الاسلحة النووية» ، زائداً قوات تقليدية كافية للدفاع عن النفس في حرب تقليدية محدودة = أمن معقول بثمن معقول ٠

الحوافز الأشمل

لقد كان ما ذكرته في الصفحات السابقة خلاصة عن مفاهيم العرابين الثلاثة ــ بن غوريون ، بيريز ، دايان ــ عن الخيار النووي ، وضرورات امتلاك هذا السلاح بالنسبة لاسرائيل ٠ وقد عملوا من مركز السلطة على اتخاذ القرار ومتابعة التنفيذ دون الالتفات الى المعترضين على التسلح النووي وخاصة مدارس الفكر الأخرى داخل اسرائيل ٠ وقد احيطت عملية تنفيذ البرنامج بأعلى درجات السرية حتى بدأ ينكشف للعالم شيئا فشيئا بعد عملية طائرة الاستطلاع الامريكية حول مفاعل ديمونا ٠

أما الحوافز الأشمل لامتلاك السلاح النووي فيمكن تحديدها كما يلي[١٧] :

١ ــ الحاجة لرادع أقوى من الرادع التقليدي لضمان التفوق الدائم ٠ وتغالي اسرائيل في الطلب دائماً فهي تطلب الأمن المطلق ، والتفوق المطلق ، وان تأخذ كل شيء دون ان تقدم شيئا للآخرين ٠

٢ ــ السلاح النووي يمثل الدرع الواقي لئلا تتعرض لخطر الابادة الحقيقية ٠

٣ ــ سيكون السلاح النووي فعالا بيد أسرائيل مهما كانت نوعيته بسبب قرب مراكز التجمعات السكانية العربية وسهولة ضربها ، واسرائيل تتبع منذ قيامها على الأرض العربية ضرورة القيام بالضربة الوقائية أو الاستباقية وهي احدى قواعد استراتيجيتها ٠

٤ ــ الضغط على الولايات المتحدة وابتزازها لتوفير مزيد من المساعدات المادية والسلاح ، والتأثير على موقف الاتحاد السوفيتي بصورة مباشرة ليمتنع عن مساعدة العرب ٠

٥ ــ خوف اسرائيل من امتلاك واحدة أو اكثر من الدول العربية أو الاسلامية في المنطقة لسلاح تدمير شامل وحاجتها لرادع مواز له ٠

٦ ـ امتلاك السلاح النووي يرفع معنويات القوات المسلحة والشعب داخل فلسطين المحتلة ومعنويات اليهود كافة خارجها · وبالمقابل ، تؤثر على معنويات الجيوش العربية والشعب العربي لتصاب باليأس والقنوط ، والمعروف أن المعنويات عامل حيوي وحاسم في الحروب وصراعات الأمم · والجيش الذي يتفوق على عدوه بالسلاح كمية ونوعا يتمتع بمعنويات عالية ، ويصيب معنويات عدوه في الصميم(١٨) ·

٧ ـ التوسع والسيطرة : التوسع الاستيطاني هدف حيوي من أهداف الصهيونية والتخطيط لذلك مهيأ ومدروس ليتم على مراحل بواسطة القوة · واختلاق الذرائع والمبررات لخلق الظروف الملائمة للتنفيذ · وبعد ادخال اعداد كبيرة من المهاجرين واستيعابهم ، يقفز لعدو الى مرحلة تالية للوصول الى الحدود المرسومة للتوسع ، فيتمكن الكيان الصهيوني من السيطرة على مقدرات العالم العربي وخيراته ، وتصبح الكيانات العربية الضعيفة لا تملك من أمرها شيئا(١٩) ·

٨ ـ الدعاية : ان امتلاك السلاح النووي وسيلة فعالة للدعاية وارتقاء مكانة مرموقة بين دول العالم ، وهذا يعطي صورة عن التفوق العلمي والتقدم الحضاري والصناعي ، وخاصة أمام دول العالم الثالث ، حيث تهيء اسرائيل الفرصة لتدريب العلماء من الدول الاسيوية والافريقية ودول امريكا اللاتينة ·

عوامل لا تبرر امتلاك السلاح النووي

يرى بعض الباحثين في داخل اسرائيل وخارجها ان امتلاك اسرائيل السلاح النووي لا مبرر له ، حيث ستبرز العومل التالية :

١ ـ الخوف من سباق تسلح نووي وتنبه الدول العربية والاسلامية الى تسريع عملية امتلاكهم لهذا السلاح · والمتفق عليه عموما ، ان الدول تسعى لامتلاك القوة النووية من أجل الهيبة أو الأمن أو كليهما ·

ويتوفر لاسرائيل عامل الهيبة بلا أدنى أدنى شك في هذه الحالة ، وقد تكون الدولة السابعة التي تدخل ما يسمى (النادي النووي) وبذلك تتهيأ لها فرصة فريدة لهذا الوضع الدولي الذي يصعب الحصول عليه بدون السلاح النووي · ولكن القنبلة النووية الاسرائيلية ستؤدي في نهاية المطاف الى قنبلة عربية ، ولا بد أن يتطور الموقف في النهاية الى مواجهة نووية لا تبررها اعتبارات الهيبة ، وحصوصا ان الكثافة السكانية في اسرائيل تحتشد في بقعة ضيقة تقضي عليها بضع قنابل نووية(٢٠) ·

٢ - ان الأهداف العسكرية في المنطقة العربية في متناول التفوق التقليدي الاسرائيلي وتستطيع اسرائيل تدميرها ، ولا حاجة والحالة هذه الى السلاح النووي وتكاليفه الباهظة ٠

٣ - قد يؤدي التسلح النووي الاسرائيلي الى زيادة التوتر الدولي ، وقد يتصاعد الخوف من ان يؤدي استعمالها لسلاح نووي الى حرب نووية عالمية ، وفي ذلك احراج للولايات المتحدة واثارة غضب الاتحاد السوفيتي[٢١] ٠ وتعليقي على البند الثالث هذا ، ان الدولتين تعرفان مدى نشاط اسرائيل النووي ومدى ما وصلت اليه وما قد يترتب على ذلك بالنسبة لهما وللعالم ، ولكنهما لا تحركان ساكنا للوقاية ومنع وقوع الاحداث مسبقا ، وهذا يعني بكل بساطة الرضا التام عما تفعله اسرائيل في برنامجها النووي ٠

الهوامش

١ ـ اسرائيل والطاقة الذرية ، سلسلة دراسات صامد الاقتصادي ـ ١٨ ـ ناجح الجسراوي ، طبعة ثانية ، عمان ١٩٨٦ ـ صفحة ٢١ ٠

٢ ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ٢٢ ٠ وكتاب الاسلحة النووية واستراتيجية اسرائيل ، فؤاد جابر ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٧١ ، ترجمة زهدي جار الله ـ صفحة ٣١ ٠

٣ ـ نفس المصدر السابق ـ ناجح الجسراوي ـ صفحة ٢٣ ـ ٢٤ ٠

٤ ـ فؤاد جابر ـ الاسلحة النووية واستراتيجية اسرائيل ـ صفحة ٣٠ ٠

٥ ـ نفس المصدر السابق ـ صفحة ٣١ ٠

٦ ـ ناجح الجسراوي ـ اسرائيل والطاقة الذرية ـ صفحة ٢٥ ٠

٧ ـ الاداة العسكرية الاسرائيلية والحرب الاسرائيلية العربية المقبلة ، رياض الاشقر ، ١٩٧٩ ـ صفحة ٢٢٥ ٠

٨ ـ ناجح الجسراوي ـ اسرائيل والطاقة الذرية ـ صفحة ٣٤ ـ ٣٧ ٠

٩ ـ نفس المصدر السابق ـ صفحة ٧٧ ٠

١٠ـ The Hidden Debate : The Formation of Nuclear Doctrines in The Middle East - URI Bar - Joseph. Jaurnal of Strategic Studies, vol. 5 - June 1982 No. 2 Page 212.

١١ـ عن بحثي ـ نظرية الأمن القومي الاسرائيلي ـ المنشور من قبل جامعة القاهرة عام ١٩٧٥ مع أبحاث الندوة الدولية لحرب اكتوبر ٠

١٢ـ نفس المرجع السابق ٠

١٣ـ نفس المصدر في التسلسل (١٠) أعلاه ـ صفحة ٢١١ ٠

١٤ـ نفس المصدر في التسلسل (١٠) أعلاه ـ صفحة ٢١٢ ٠

١٥ـ أفكار بيريز الواردة هنا مترجمة بتصرف عن المصدر السابق ـ صفحة ٢١٣ ـ ٢١٤ ٠

١٦ـ افكار دايان هذه مترجمة بتصرف عن المصدر السابق ـ صفحة ٢١٤ ـ ٢١٧ ·

١٧ـ ناجح الجسراوي ، اسرائيل والطاقة الذرية ، عمان ١٩٨٦ ـ صفحة ٨١ ·

١٨ـ كتابي ـ التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط ، ١٩٨١ ـ صفحة ٦٦ ـ ٦٧ ·

١٩ـ نفس المرجع السابق ـ صفحة ٦٧ ـ ٦٩ ·

٢٠ـ الاسلحة النووية واستراتيجية اسرائيل ، فؤاد جابر ، ترجمة زهدي جار الله ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٧١ ـ صفحة ١٥٥ ·

٢١ـ ناجح الجسراوي ، اسرائيل والطاقة الذرية ـ صفحة ٨٠ ـ ٨١ ·

الفصل الثالث

القدرة النووية الاسرائيلية

يبقى التهديد باستعمال السلاح النووي قائما ما دام أحد طرفي النزاع أو كلاهما يملك الاسلحة النووية ٠ وكلمة (يملك) هنا تعني أن تكون الدولة قد صنعت سلاحها النووي بنفسها ، لان القنابل النووية لاتباع من الدول المنتجة ، ولم يحدث مثل هذا أبدا ٠ وهناك دول في حلف وارسو في الشرق ، وحلف الأطلسي في الغرب ، تتواجد في أراضيها اسلحة نووية تابعة للحلف كجزء من التصميم الدفاعي ، لذلك لا يمكن ان تسمى مثل هذه الدول دولا نووية ، وهي بالتالي لا تملك السيطرة على اطلاق هذه الاسلحة ٠ ومن هذه الدول بولندا والمانيا الشرقية ، وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا في حلف وارسو ، والمانيا الغربية وهولندا وبلجيكا في حلف الأطلسي ، وغيرها ٠

ومن الناحية الاستراتيجية ، فان الدولة النووية هي التي تملك الحد الأدنى من القدرة على اطلاق الصواريخ النووية ، وهي القدرة التي تكفي لردع أي خصم يفكر في دعم مركزه عن طريق توجيه ضربة قاضية مفاجئة(١) ٠

ويمكن تعريف الدولة النووية على أنها الدولة التي تملك السلاح النووي ، ووسيلة أو اكثر من وسائل ايصال المقذوف النووي الى الهدف المرغوب ٠ ووسائل ايصال المقذوف النووي الى الهدف الشائعة حاليا هي : الطائرة ، صاروخ سطح/سطح ، والمدفع المصمم لهذه الغاية ٠

ان العوامل المؤدية للحصول على القدرة النووية هي : تيسر العلماء ، تيسر الأفران والمواد ، تيسر المال ، التجارب النووية(٢) ٠ وتقسم العملية التقنية المؤدية الى حيازة الاسلحة النووية كما يلي(٣) :

أ ـ انتاج القلب القابل للانشطار ٠

ب ـ تصميم السلاح وتجميعه ٠

ج ـ الاختبـــار ٠

وتتوفر العوامل الآنفة الذكر في اسرائيل بسهولة ويسر ، وقد عمل الكيان الصهيوني بكل جد ونشاط على تأهيل الكوادر اللازمة للبرنامج النووي ، والحصول على الافران والمواد من فرنسا والولايات المتحدة ، ومن ضمنها الاجهزة اللازمة لتصفية

اليورانيوم ، وهذا المعدن موجود في منطقتي النقب والبحر الميت • اما توفر المال اللازم فلا يقلق اسرائيل ، نظراً للمساعدات والاعانات والتبرعات التي تنهال عليها من يهود العالم من جهة ، ومن الدعم الاقتصادي الهائل من الولايات المتحدة • هذه العوامل الثلاثة تمكن أية دولة من حل مشكلتي العملية التقنية وهما : انتاج القلب القابل للانشطار ، وتصميم السلاح وتجميعه •

أما مسألة الاختبار أو التجارب النووية ، فهي أقل معضلات انتاج السلاح النووي شأنا ، ويضع المحللون كثيراً من علامات الاستفهام حول التعاون القائم بين اسرائيل وجنوب أفريقيا في المجال النووي ، والتجربة أو الانفجار المجهول الذي رصدته الاقمار الصناعية الامريكية في جنوبي المحيط الهندي عام ١٩٧٩ يشير الى ذلك التعاون •

وكتب جاك اندرسون في صحيفة الواشنطن بوست عن التعاون النووي مع جنوب أفريقيا وتايوان ، فذكر وجود تقرير سري لدى وكالة الاستخبارات المركزية ثم تقديمه لمجلس الأمن القومي ، ويعود تاريخه الى ٢٠ حزيران ١٩٨٠ ، وضع احتمالا يرجح ان الضوء الساطع الغامض الذي حصل على ساحل جنوب أفريقيا في أيلول ١٩٧٩ ، كان تفجيراً نوويا أجرته كل من اسرائيل وجنوب أفريقيا وتايوان على ارتفاع ٧٨٠٠ متر[٤]•

وعليه ، فأن عدم اجراء تفجير نووي في عملية اختبار لا يشكل عائقا أمام تطوير البرنامج النووي الاسرائيلي ، ولا يمكن الاستدلال به ان اسرائيل لا تملك سلاحا نوويا •

أما على الجانب الآخر من الجبل ــ جانب العدو ــ فقد أورد الباحث الاسرائيلي (شاي فيلدمان) في الصفحة ٢٣ من كتابه (الخيار النووي)[٥] ، الرأي التالي للبروفيسور الهندي (تشاري) مدير معهد الدراسات للسياسة الاجنبية في نيودلهي : « تجدر الاشارة الى انه كي نتمكن من انتاج البلوتونيوم الذي ينتج في فرن ذري ، يجب الحصول على مصنع لفصل البلوتونيوم ، ولا يوجد أي دليل على اقامة مثل هذا المصنع في اسرائيل ولو على مستوى مصنع تجريبي ، لذلك وعلى اساس اعتبارات علمية بناءة ، لا يمكننا القول بأن اسرائيل انتجت سلاحا نوويا •

ويواصل البروفيسور (تشاري) تأكيد اعتقاده بأن ليس لدى اسرائيل اسلحة نووية على اساس عدم وجود دليل على قيام اسرائيل بتجارب نووية ، ويشك (تشاري) في أن اسرائيل ستشرع في خزن اسلحة نووية مزودة برؤوس متفجرة ، بدون اجراء تجارب ومن الصعب الاعتقاد بانها ستضع ثقتها بنجاعة الرؤوس النووية تلك ، بدون اجراء تجارب مسبقة عليها » •

ان رأي البروفيسور تشاري حول الثقة بنجاعة الرؤوس النووية بدون اجراء مسبقة عليها قد لا يكون واردا بالنسبة لاسرائيل ، حتى اذا لم يكن التعاون النووي مع جنوب افريقيا وتايوان صحيحا في مجال التجارب ، لان بامكان اسرائيل التأكد من نجاعة الرؤوس النووية التي تنتجها عن طريق أدق المعلومات عن تجارب الآخرين ، وخاصة عملائها من يهود امريكا ، وهم مزروعون في كثير من المواقع الحساسة في الولايات المتحدة ، وقصة الجاسوس جوناثان بولارد الأخيرة احد الأمثلة على ذلك ٠ وكانت أول عملية سرقة للاسرار النووية الامريكية قبل حوالي أربعين سنة ، وقام بها يهوديان امريكيان روز نبرغ وزوجته ايثل ـ ونالا عقوبة الاعدام على ذلك ٠

وليس هناك أدنى شك ان اسرائيل استفادت من المعلومات عن تجارب الآخرين ، وحصلت على عصارة خبرة وتجارب العلماء اليهود في العالم ، لضمان دقة الانتاج والاقتصاد في النفقات ، وهذا يلائم موقفها من حيث كتمان وجود السلاح النووي نظراً للميزات والمكاسب الاستراتيجية التي تحققها من وراء ذلك ٠

وليس هناك شك أيضا من أن يهود العالم اينما كانوا يضعون دولة اسرائيل اعتبارهم الأول والأهم ، ويقدمون لها أية معلومات تساعدها على بناء القوة والتفوق ، وذات مرة قال بن غوريون[٦] : « ان دولة اسرائيل جزء من الشرق الأوسط جغرافيا فقط ، وذلك في الغالب عامل ساكن ، واسرائيل من حيث أوجه النشاط ، والابداع ، والنمو الحاسم جزء من العالم اليهودي ٠٠٠ ان الاشتراك في المصير والهدف يجمع دولة اسرائيل والشعب اليهودي جمعا لا انفصام له ٠ هناك رابط يربطهما لا يمكن تحطيمه ، رابط الحياة والموت » ٠

هل صنعت اسرائيل قنابل نووية ؟

الموقف الرسمي لاسرائيل ينفي دائما امتلاكها لأسلحة نووية ، ويؤكد انها لن تكون البادئة في ادخال السلاح النووي الى منطقة الشرق الأوسط ، كما يؤكد انها لن تكون الدولة الثانية اذا ظهر السلاح النووي في المنطقة ، وهذا غموض متعمد حول قدرة اسرائيل النووية ٠ وتظهر التلميحات بين آونة وأخرى وبطرق غير مباشرة انها اذا لم تمتلك الاسلحة النووية الآن ، فان بمقدورها صنعها خلال أيام ، وتؤمن غالبية

الشعب الاسرائيلي – كما تدل الاستفتاءات – بأن اسرائيل تمتلك اسلحة نووية جاهزة لديها الآن[٧] ٠

ونعود للبحث عن الاجابة على السؤال ، هل صنعت اسرائيل قنابل نووية ، وهي تملك المفاعل النووي المطلوب ومرفق فصل اليورانيوم ، وجميع المتطلبات العلمية والتقنية ، وقامت بتأمين الوقود اللازم لمفاعلها ، ويبدو انها تملك اليورانيوم ٢٣٥[٨] ٠

وتجيب المصادر الغربية والامريكية بنوع خاص بالايجاب ، وتستند في هذه الاجابة على تقارير وتصريحات وكالات ومؤسسات امريكية وخبراء ومسئولين امريكيين ومن امثلة ذلك ما يلي[٩] :

١ – ذكر مدير الوكالة الامريكية للاشراف على شئون التسليح في عام ١٩٧٥ ، ان من المحتمل ان تكون اسرائيل قد انتجت سرا سلاحا نوويا ٠ ونسبت صحيفة (بوسطن جلوب) الامريكية حينذاك ، الى موظفين حكوميين امريكيين كبار قولهم : ان اسرائيل ، بحسب رأيهم انتجت سلاحا نوويا ٠

٢ – نقلت مجلة (نيوزويك) الامريكية في أيلول عام ١٩٧٥ ، عن مسئولين امريكيين وخبراء ذرة قولهم بصراحة ان اسرائيل أصبحت منذ زمن بعيد ، عضوا في النادي الذري ، وربما كان لديها عشر قنابل نووية ، أو اكثر بقوة قنبلة هيروشيما ٠

٣ – ذكرت صحيفة (واشطن بوست) في شهر تموز ١٩٧٦ ، ان مسئولين كبارا في وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية قالوا في اجتماع شبه مغلق مع اعضاء المؤسسة الامريكية للعلوم الجوية وعلوم الفضاء ، وحضره أيضا عدد من الصحفيين ان لدى اسرائيل عدد يتراوح بين ١٠ – ٢٠ قنبلة نووية جاهزة ومعدة للاستخدام٠

وقد رفض جورج بوش ، رئيس الوكالة ، التعليق على ما ذكرته الصحيفة ، ولكنه قال : انه كان هناك تفاهم مسبق مع المدعوين الى الاجتماع بعدم ذكر أي شيء عن الاجتماع ، واكد انه لن يسمح بتسرب معلومات سرية من الاجتماعات٠

٤ – استمر تسرب المعلومات الامريكية الرسمية التي تؤكد ان اسرائيل تملك قنابل نووية ، وعلى الرغم من ذلك ، أعلن الناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية في بيان اذاعه يوم ١٩٧٧/١١/١٠ ، ان الولايات المتحدة تقبل الموقف الرسمي لاسرائيل الذي ينفي امتلاك اسرائيل اسلحة نووية ، وذكر البيان : « لقد لاحظنا

تصاريح اسرائيلية قوية تقول انهم لن يكونوا الدولة الأولى التي ستدخل الأسلحة النووية الى الشرق الأوسط » · واننا نعتبر هذا كبيان رسمي حول الموقف الاسرائيلي ··

ويمكن مناقشة الاشارات الامريكية الواردة آنفا على انها جزء من شائعات وتهويل حملة نفسية لتسويق الخوف على العرب في الفترة التي اعقبت حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، وقبل زيارة الرئيس السادات للقدس ، وذلك بهدف اخضاع العقل العربي وغرس روح الاحباط ، ونهج القعود ليبدأ فرض الحلول ولكن صدور تلك الاشارات عن مسئولين وخبراء امريكيين في دوائر مختلفة · يجب أن يؤخذ على محمل الجد · وهناك دلائل أخرى ترجح ان اسرائيل قد صنعت بالفعل قنابل نووية ، ولكنها لم تعلن ذلك نظراً للفوائد التي تحققها من مثل هذا الموقف ، وخوفا من ردات الفعل العالمية(١٠) ·

وبالاضافة لما سبق ذكره ، تعتبر تقارير وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية من أهم الأدلة وهي :

١ ــ توصلت الاستخبارات المركزية الامريكية عام ١٩٦٨ الى استنتاج ان اسرائيل تمتلك اسلحة نووية ، وقد اطلع رئيس الاستخبارات وقتئذ ــ هولمز ــ اطلع الرئيس ليندون جونسون الذي طلب اليه عدم اطلاع أي شخص آخر ·

٢ ــ قدمت وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية الى لجنة التسلح النووي بالكونغرس تقريرا بتاريخ ٤ أيلول ١٩٧٤ ، وبقي سرا ، ولم ينشر الا في عام ١٩٧٨ بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ، حول القدرة النووية الاسرائيلية وقد بنى الذين كتبوا التقرير من مسئولي الاستخبارات اعتقادهم على الحقائق التالية :

أ ــ امتلاك اسرائيل كميات كبيرة من اليورانيوم ·

ب ــ الغموض الذي يكتنف محاولات اسرائيل في حقل اغناء اليورانيوم ·

ج ــ استثمار اسرائيل بشكل كبير في أنظمة حمل وقذف عالية التكلفة ، يمكنها حمل وقذف رؤوس نووية ·

ويعتقد كاتبو التقرير ان اسرائيل سوف لن تؤكد وتعلن انها تمتلك اسلحة نووية ، وذلك عن طريق اجراء تفجير نووي تجريبي ، أو الاعتراف علانية بوجود اسلحة نووية بحوزتها ، أو عن طريق التهديد باستعمالها ، الا عندما تتعرض لخطر جسيم قد يهدد وجودها برمته · وكان هذا التقرير أقوى التقارير حول قدرة اسرائيل النووية(١١) ·

٣ ـ نشرت مجلة (تايم) في نيسان عـام ١٩٧٦ تصريحا لاحـد المسؤولين بوكالة الاستخبارات المركزية ان اسرائيل تمكنت من امتلاك عدد من القنابل النووية يتراوح بين ١٠ ـ ٢٠ قنبلة(١٢) ٠

طبيعة المنشأة النووية

ان متابعة فعاليات البرنامج النووي الاسرائيلي منذ بدايته تلقي الضوء الساطع على الأهداف المتوخاة من هذا البرنامج ، والنتائج المراد تحقيقها ، والمدى الذي وصلت اليه ، من الشواهد التالية :

١ ـ بدأ تشغيل مفاعل ديمونا عام ١٩٦٤ ، واقيم منذ الاساس للاغراض العسكرية ، وحاول المسئولون الاسرائيليون التكتم كلية على المشروع حتى انكشف للملأ ، وهذه السرية التامة ورفض السماح لاحد من الخارج بزيارة الموقع ، هي لاخفاء النتائج العسكرية ، فلو كان المشروع للاغراض السلمية لما جرى هذا التكتم ٠

وتمتلك المنشأة النووية في اسرائيل بنية هامة ، ولديها ـ عدا مفاعلي ديمونا وبيت سوريك المتممين لبعضهما ـ معمل لاستخلاص البلوتونيوم من وقود المفاعل المستهلك ، كما أشارت المعلومات التي تسربت أخيرا الى وجود معمل صغير لاغناء اليورانيوم ضمن موقع ديمونا ، كما تملك اسرائيل البنية الصناعية اللازمة والخبراء لتصميم وصنع اسلحة نووية بدائية على الأقل(١٣) ٠

٢ ـ في كانون أول ١٩٧٧ كشفت مجلة (رولنغ ستون) الامريكية النقاب عن اختفاء (٨٠٠٠) رطل من اليورانيوم والبلوتونيوم ، وقد أكدت المجلة ان هذه المواد تسربت الى اسرائيل ، والشركة التي فقدتها هي شركة المواد والتجهيزات النووية في ولاية (بنسلفانيا) ، وكان يرأسها (زالمان شابيرو) وهو يهودي ، وقد كشفت لجنة الطاقة النووية عن موجودات الشركة في العام ١٩٦٥ ، فاكتشفت اختفاء (٣٨٢) رطلا من اليورانيوم المخصب ، ولكن الرئيس الامريكي جونسون أمر بوقف التحقيق وعدم كشفه ٠

وفي عام ١٩٧٧ اكتشفت لجنة الطاقة النووية اختفاء (١٩٠) رطلا اضافيا من نفس الشركة ، وعلى اثر ذلك قام شابيرو ببيع الشركة(١٤) ٠

٣ ـ نشطت اسرائيل في عمليات سرقة المواد النووية حيث شكلت المخابرات الاسرائيلية وحدة (كوماندوس) لهذه الغاية ، وتتابعت عمليات السرقة من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة بسكوت مطبق من حكومات تلك الدول ، وكانت ابرز السرقات

هي سرقة حمولة الباخرة الالمانية (شرزبورغ) في البحر الأبيض المتوسط ، وكان على ظهرها ٢٠٠ طن من اليورانيوم غير المخصب[١٥] ٠

٤ ـ في ٢٢ أيلول ١٩٧٩ سجل القمر الصناعي الامريكي انفجارا غريبا في البحر بالقرب من جنوب افريقيا ، وقد رجحت الدلائل ان ذلك كان انفجارا نوويا بقوة ٢ ـ ٤ كيلو طن ، وهو ثمرة التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا ٠

٥ ـ في آذار ١٩٨٠ ، منعت الرقابة الاسرائيلية نشر كتاب بعنوان « أحد لن يعيش بعدنا : قصة القنبلة الذرية الاسرائيلية » ، وقد ألفه صحافيان اسرائيليان هما : ايلي تايكر ، وآمي دور ـ أون ٠ وكشفت مصادر صحفية ان الكتاب استعرض بناء الاسلحة النووية في اسرائيل وأكد أنها اصبحت تمتلك عشرات القنابل النووية وبضعة قنابل هيدروجينية[١٦] ٠

٦ ـ استمرار اصرار اسرائيل على رفض توقيع معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية أو حظر التجارب ٠ حيث يترتب على أية دولة موقعة على هذه المعاهدة ان تفتح منشئاتها النووية للتفتيش والرقابة الدوليتين ، وان تتعهد بعدم صنع أي متفجرات نووية على الاطلاق ٠

٧ ـ الاهتمام المتزايد في اسرائيل لصنع وسائل اطلاق الاسلحة النووية محليا مثل الصواريخ ، ومحاولة الحصول على هذه الوسائل من الخارج ، وتستثمر في ذلك مبالغ كبيرة ٠

وقد اجرت جامعة جورج تاون مؤخرا دراسة اشارت فيها الى ان اسرائيل قادرة على انتاج ستة رؤوس نووية في العام ، وفي عام ١٩٨١ أوفد السكرتير العام للأمم المتحدة لجنة من الخبراء الى اسرائيل لبحث التسلح النووي فيها ، وقد خلصت تلك المجموعة الى نتيجة مفادها : انه رغم صعوبات الجزم بأن اسرائيل تملك سلاحا نوويا ، فأن هناك دلائل كثيرة على انها أصبحت على عتبة التحول الى دولة نووية[١٧] ٠

وسائل ايصال السلاح النووي الى الهدف

ان القدرة النووية لاية دولة تتطلب توفر عنصرين رئيسيين لدى تلك الدولة ، ليكون باستطاعتها استخدام سلاحها النووي عند الحاجة ، وضمان الحصول على النتائج المرجوة من حيث التأثير على الخصم أو تدميره ٠ وهذان العنصران هما :

١ ـ امتلاك الدولة للسلاح النووي أي القدرة على تصنيعه ٠

٢ ـ توفر وسيلة أو اكثر لحمل السلاح النووي وايصاله الى الهدف المطلوب ٠ وكلما كانت وسائط الدفاع المقابلة ضعيفة ، كلما أصبح الاختراق لها أسهل ٠

ان وسائل ايصال القذيفة النووية الى الهدف هي : الطائرة ، صاروخ سطح/سطح المصمم لحمل رؤوس نووية ، المدفع المصمم لهذه الغاية وهو غالبا ما يستعمل في ميدان القتال ، ويطلق على السلاح النووي الذي يستعمل لضرب تحشدات جيش العدو اثناء القتال (السلاح النووي التعبوي ـ التكتيكي) ، بينما يطلق اسم (السلاح النووي الاستراتيجي) على الذي يستهدف به ضرب اعماق العدو والابادة الجماعية ، والمرافق الاقتصادية والتجمعات السكانية ٠

وان طبيعة منطقة الشرق الأوسط وقرب المناطق ذات التجمعات السكانية الكبرى لدى العرب واسرائيل من بعضها تجعل استعمال السلاح النووي أمرا سهلا ٠ أما ضعف وسائط الدفاع العربية فتعطي اسرائيل ميزة سهولة الاختراق ، وربما فعلت ذلك بطائرات ركاب مدنية(١٨) ٠

وتحاول اسرائيل تجهيز واعتماد اكثر من وسيلة ايصال للاسلحة النووية ، وهي تركز اهتمامها على الوسائل المتيسرة لديها أو التي يمكن ان تطورها ، وهناك عوامل تتحكم بقدرات واستخدام أنظمة الايصال النووية هي(١٩) :

١ ـ القدرة على الاختراق ـ أي اختراق منظومات الدفاع المضادة ، ومن ثم الوصول الى الهدف ، مدى السلاح ، وأجهزة التوجيه ، وضمان دقة الاصابة ، ومستوى الكفاءة الميكانيكية ٠

٢ ـ القدرة على البقاء ، وهذه تتطلب وجود أنظمة مساندة لتقديم الدعم مثل الطائرات المقاتلة المرافقة للقاذفات وأنظمة الرصد والانذار ، واجراءات التضليل والتشويش والاعماء للوسائط المضادة المعادية ٠

٣ ـ الطبيعة العملياتية ـ ملاءمة الوسيلة المستخدمة للمهام المطلوبة منها ، والمرونة في الاستخدام نظراً لقرب المسافات في مسرح عمليات الشرق الأوسط ، حيث قد يتحول السلاح التعبوي لضرب هدف استراتيجي كالمدن والمنشئات الحيوية الواقعة ضمن المدى ، وينطبق نفس المفهوم على الصاروخ التعبوي المضاد للسفن الذي لا يزيد مداه عن (١٠٠ ميل) اذا ما تم تزويده برأس نووي لضرب مدن ساحلية ذات أهمية استراتيجية ٠

ان وسائل ايصال الاسلحة النووية المتيسرة لاسرائيل في الوقت الحالي أو التي يمكن ان تكون متيسرة في المستقبل هي :

أ ـ الطائـــرات

ذكر تقرير لمعهد الدراسات الاستراتيجية بجامعة جورج تاون ،ان اسرائيل تملك ٢٤٤ طائرة فانتوم ف ـ ١٥ و ف ٥ ـ ١٦ ـ ١ ، القادرة على اطلاق الصواريخ النووية بعيدة المدى والمتوسطة ، وسيكون لديها حتى عام ٢٠٠٠ (٤٧٥) طائرة لهذا الغرض ، منها طائرة ليفي التي يجري تطويرها محليا ٠

كما يمكن ان تحمل السلاح النووي طائرات الميراج وكفير وسكاي هوك أ ـ ٤ ، وفانتوم ف ـ ٤[٢٠] ٠

وتستطيع طائرة فانتوم ف ـ ٤ حمل قنبلة على نقطة تعليق تحت هيكلها يصل وزنها الى ١٥٠٠ كغم ، وتستطيع طائرة سكاي هوك أ ـ ٤ حمل قنبلة مشابهة ، ومدى طائرة الفانتوم المقاتلة على ارتفاع عال ـ منخفض ـ عال ، هو ١٠٥٠ كيلو متر بحمولة ١٨٠٠ كغم في مهمات القصف ٠ أما مداها بنفس الحمولة على طيران منخفض ـ منخفض ، فيبلغ ٦٥٠ كيلو متر ، وأسلوب الطيران الأخير هو المفضل لدى الاسرائيليين ، لتحاشي أنظمة الرادار ودفاع مقاومة الطائرات ، ويصل مدى طائرة كفير على ارتفاع منخفض بحمولة ١٠٠٠ كغم الى ٦٥٠ كيلو متر ٠

أما طائرة سكاي هوك القاذفة بنفس الحمولة لطائرة كفير ، فيصل مداها الى ٥٥٠ كيلو متر ٠ وتستطيع اسرائيل استعمال المقاتلة ف ـ ١٦ بحمولة (٢٧٢٠) كغم ومداها ٦٠٠ كيلو متر ، وكذلك المقاتلة ف ـ ١٥ ايغل ومداها ٨٠٠ كيلو متر بحمولة مشابهة[٢١] ٠

وتقع العواصم العربية التالية ضمن مدى عمل هذه الطائرات وهي : بيروت ، دمشق ، بغداد ، عمان ، القاهرة ٠ وكذلك الأهداف الحيوية التالية : سد الفرات ، مصافي النفط على الساحل السوري ، وبعمل تدابير لتخفيض حمولتها الى ما بين ١٠٠٠ ـ ١٥٠٠ كغم ، فانها تتمكن من الوصول الى مدن : جدة ، مكة المكرمة ، حلب ، الموصل ، الاسكندرية واسوان ٠

والطائرات على اختلاف أنواعها هي الوسيلة الأولى لحمل السلاح النووي وايصاله الى الهدف ، وتستطيع الوصول الى اعماق بعيدة في الوطن العربي ، وخاصة ان لدى اسرائيل امكانية تزويدها بالوقود جوا ٠ وسيئة الطائرات انها واهنة في وجه منظومة دفاع جوي حديثة متطورة ، ولكن أي عدد من هذه الطائرات يتمكن من اجتناب الدفاعات المضادة ، ويحمل قنابل نووية سيحدث تدميرا هائلا ٠

ب ـ صاروخ سطح/سطح

تملك اسرائيل حاليا الصواريخ التالية(٢٢) :

١ ـ صاروخ اريحا (جريكو)

ويمكن اطلاقه من الأرض الى الأرض أو من سطح سفينة الى الأرض ، وقد طورته اسرائيل محليا بالتعاون مع شركة داسو الفرنسية منذ أواخر الستينيات ، وهو قادر على حمل رأس نووي بوزن ٥٠٠ كغم أو رأس من المتفجرات التقليدية وزنها من ١٠٠٠ ـ ١٥٠٠ باوند ، ويبلغ مداه ما بين ٤٠٠ ـ ٤٥٠ كيلو متر ، وهناك انباء عن محاولة تطوير مسافته لتصل الى ٧٥٠ كيلو متر ٠ واذا تم تجهيز الصاروخ بأجهزة التوجيه الحديثة يصبح دقيق الاصابة بخطأ بسيط ٠

٢ ـ صاروخ لانس الامريكي

سطح/سطح ، ومداه حوالي ٧٠ كيلو متر بحمولة ٤٥٠ كغم ، و ١٢٠ كيلو متر بحمولة ٢١٢ كغم ، ولا يعرف فيما اذا كانت اسرائيل قد انتجت رؤوسا حربية نووية صغيرة لاستعمالها في الميدان ضد التحشدات العسكرية ٠

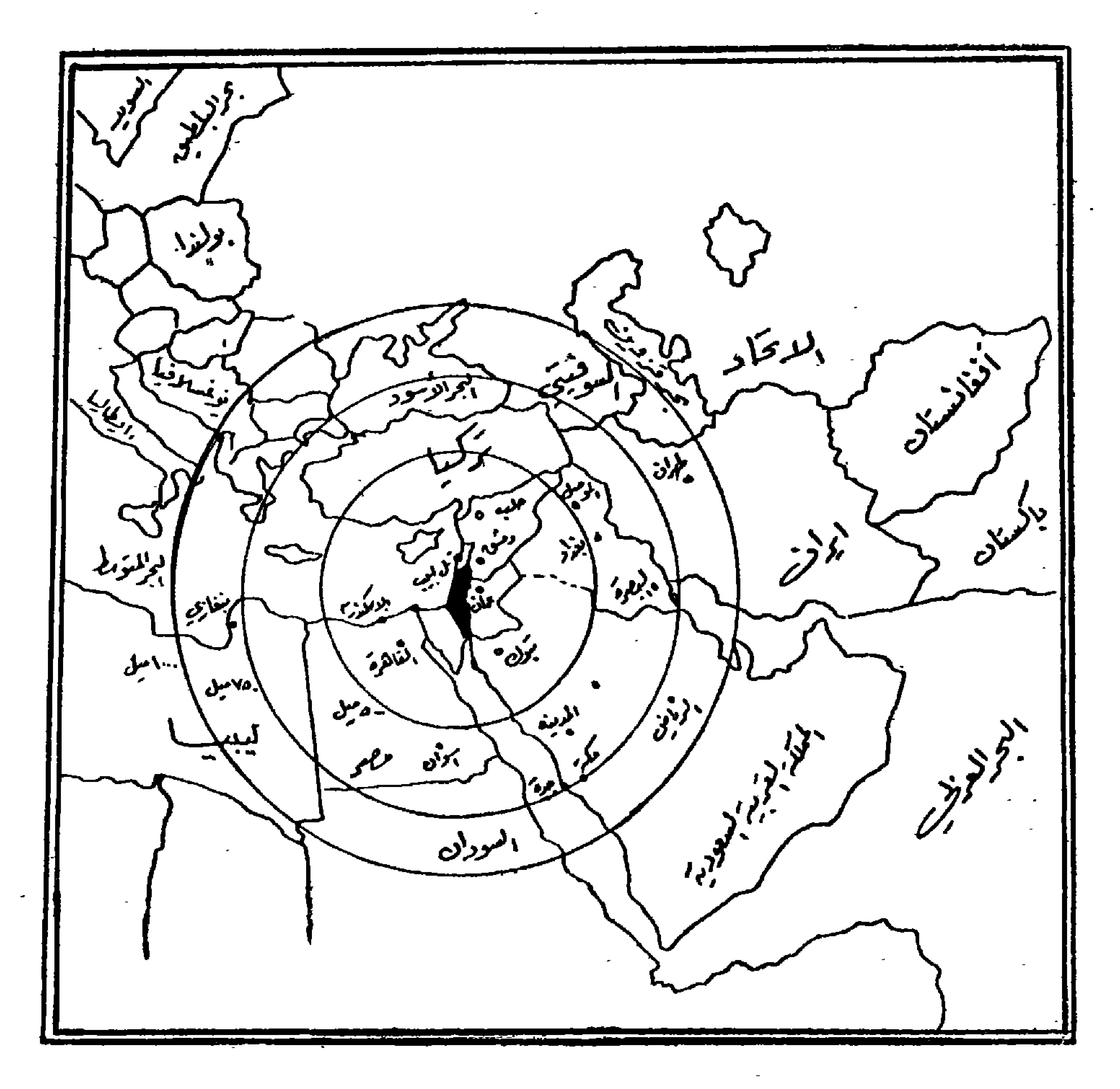
٣ ـ صاروخ غابرئيل الاسرائيلي

(٢ و ٣) ومداه ما بين ٤٠ ـ ٦٠ كيلو متر ، وصاروخ هاربون الامريكي ومداه حوالي ١٠٠ كيلو متر ٠ ويطلق هذان الصاروخان من على ظهر الزوارق أو السفن ضد الأهداف الساحلية ٠

والصاروخ أحسن وسيلة قادرة على اختراق دفاعات العدو والوصول الى هدفه ، ولا يمكن اعتراضه أو تحويل مساره في معظم دول العالم ، وتقوم الدولتان العظميان ـ الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ـ بالعمل الدائب منذ ربع قرن لايجاد وسيلة محكمة لاعتراض الصواريخ وتدميرها في الجو ، أو تحويل مسارها ، وما برنامج حرب النجوم الذي تتبناه امريكا حاليا الا مرحلة متقدمة لتأمين بلادها من خطر الصواريخ النووية المعادية ٠

جـ ـ المدفعيـــة

تطور اسرائيل بالتعاون مع جنوب افريقيا مدفعا نوويا ، وسيدخل الخدمة في أواخر الثمانينيات ، وكذلك الصاروخ البحري النووي ويبلغ مداه ٢٤٠٠ كيلو متر ، ويتم تطويره بالتعاون مع جنوب افريقيا وتايوان ٠ ويمكن استعمال مدافع الميدان هاوزر ، عيار ٢٠٣ ملم ومداه ١٦ كم ، ومدفع ١٥٥ ملم ومداه ١٨ كم ، وربما تطوير صواريخ ميدانية للحصول على مرونة عملياتية(٢٣) ٠



خارطة رقم ١

ايصال المقذوف النووي الى الهدف

١ ـ مركز هذه الدوائر مدينة تل أبيب ·

٢ ـ الدائرة الأولى ـ نصف قطرها ٥٠٠ ميل · وتطال صواريخ أريحا الأهداف الواقعة ضمن ٢٥٠ ميلا من المركز · اما اذا تم تطوير مسافة هذا الصاروخ الى ٧٥٠ كيلو متر · فستكون جميع الأهداف في الدائرة ضمن مداه المؤثر ·

٣ ـ الدائرة الثانية ـ نصف قطرها ٧٥٠ ميلا

٤ ـ الدائرة الثالثة ـ نصف قطرها ١٠٠٠ ميل

يلزم لهاتين الدائرتين استعمال الطائرات العسكرية مع ضرورة تزويدها بالوقود جواً · أو الطائرات المدنية ·

د ـ يمكن تحميل القنابل النووية على طائرات النقل المدنية والعسكرية للمسافات البعيدة ، وذلك كوسيلة يائسة حيث يقل التشكك فيها ، أو استعمالها لبدء الضرب النووي حيث تكون مفاجأة تامة ٠

هـ ـ والوسيلة الأخيرة قد تكون بحرية ، كالغواصات قاذفة للصواريخ ، وتشير الدلائل الى تعاون في هذا المجال مع جنوب أفريقيا ، حيث كشفت الاقمار الصناعية الامريكية عن وجود احواض لبناء غواصات نووية ، وقد يتم تطوير قوة اسرائيلية نووية بحرية في المستقبل ، ولهذه الوسيلة قابلية أكبر على البقاء والاختراق تفوق ما عداها من وسائل الايصال الجوية والبرية ، وتتمتع بمرونة كبيرة جدا تصل الى مسافات أبعد ، وتحدث أثرا استراتيجيا هائلا(٢٤) ٠

استراتيجية اسرائيل النووية

بدأ تشغيل مفاعل ديمونا منذ عام ١٩٦٤ بانتاج محتمل من البلوتونيوم يصل الى ٧٫٥ كلغم سنويا ، وهذه الكمية تكفي لانتاج ١٫٢ قنبلة نووية كالتي القيت على مدينة هيروشيما في آب ١٩٤٥ ، وكانت قوتها ٢٠ كيلو طن(٢٥) ٠ ونشطت اسرائيل خلال السنوات التي اعقبت تشغيل هذا المفاعل في سرقة اليورانيوم والمواد اللازمة لصناعتها النووية ، وكان آخرها ٨٠٠ صاعق للتفجيرات النووية جرى شحنها من الولايات المتحدة بطرق خفية ، ودار كثير من الجدل حولها بين امريكا واسرائيل ٠

هذا الجهد النووي الذي يعمل في اسرائيل منذ اثنين وعشرين عاما لا يدور في فراغ ، ولم تظهر نتائجه في المجالات السلمية ، وعليه : يكون هذا الجهد مركزا للغايات العسكرية ٠ وما ظهر حتى الآن من تقارير المخابرات الامريكية خلال حقبة السبعينيات، وطبيعة المنشأة النووية الاسرائيلية ، لا تدع مجالا للشك ان اسرائيل تملك القدرة النووية والوسائل اللازمة لانتاج السلاح النووي ، واذا لم يكن السلاح النووي مجهزا لديها ، فانها تستطيع تجهيزه للعمل في وقت قصير جدا ٠

لذلك ، فأن الغموض هو السمة الظاهرة للبرنامج النووي الاسرائيلي في الوقت الحاضر ٠ والاستراتيجية المتبعة حاليا هي تبني معادلة حذرة ذات شقين : الأول : اعلان موقف الدولة الرسمي انها لا تملك السلاح النووي ، وليست لديها النية لتكون أول من يدخل هذا السلاح الى منطقة الشرق الأوسط ٠ والثاني : الايحاء لاعدائها بانها قادرة على امتلاك السلاح النووي في فترة قياسية(٢٦) ٠

ويطلق على هذه الاستراتيجية (استراتيجية الردع من خلال الشك) ، ويمكن تسميتها باستراتيجية (القنبلة في القبو) ، وهذا يتيح لاسرائيل قدرا اكبر من حرية الحركة والمناورة السياسية على الصعيدين الاقليمي والدولي ، وتحقيق فوائد كثيرة بالاستفادة من العوامل السياسية والاقتصادية والنفسية لردع العرب دونما حاجة للاعلان عن امتلاك السلاح ، وتجنب الضغوط الدولية ، واحراج حليفتها الولايات المتحدة ، وأهم هذه العوامل هي(٢٧) :

أ ـ الضغوط المعنوية على العرب

ابقاء العرب في حالة من الحيرة والارتباك لعدم التيقن من القدرة النووية الاسرائيلية ، واحباط الحوافز العربية للبدء في تطوير خيار نووي ، وتفرض على العرب مواجهة واقع دولي يعارض اعتمادهم لسياسة نووية مقابل التطوير الاسرائيلي غير المعلن ، ومن وجهة نظر دولية ، فأن الخطوة النووية العربية الأولى تعطي لاسرائيل جميع التبريرات لتطوير قواتها النووية وربما استخدامها عند الضرورة · وأخيرا فأن حالة الغموض الاسرائيلية قد تؤثر على عملية اتخاذ القرار العربي لامتلاك هذا السلاح ، وتذكي خلافات عربية جديدة بين المؤيدين والمعارضين ·

ب ـ فوائد الغموض للمقايضة

تستغل اسرائيل الغموض حول سياستها النووية مع الولايات المتحدة منذ وزارة ليفي اشكول عام ١٩٦٨ ، للحصول على المزيد من المساعدات العسكرية والاقتصادية والدعم السياسي في المحافل الدولية ، وذلك بدعوى ضرورة المحافظة على تفوق اسرائيل بالاسلحة التقليدية مقابل عدم اللجوء للخيار النووي ، وهكذا شهدنا المساعدات العسكرية والاقتصادية الامريكية لاسرائيل تتزايد سنويا حتى وصلت الى درجة خيالية بالنسبة لحجم اسرائيل بالرغم من العجز الظاهر في الميزانية الامريكية ، وفي جميع مناسبات مناقشة تخصيص المساعدات لاسرائيل تشير وجهة النظر الرسمية الامريكية الى ضرورة (عدم دفع اسرائيل الى الخيار النووي) ، كتبرير لاستمرار سيل المساعدات يتدفق على اسرائيل ، وهكذا نرى ان اسرائيل أصبحت تبتز الولايات المتحدة ، بالابقاء على مسألة حيازة الاسلحة النووية في دائرة الغموض ، كما انها تستفيد من ذلك في المقايضة السياسية والاقتصادية مع اطراف دولية أخرى ·

وقد يتساءل المرء هل المدى الذي وصلت اليه القدرة النووية الاسرائيلية لا يزال خافيا على الولايات المتحدة ذات اكبر جهاز مخابرات في العالم ؟ والجواب بكل بساطة لا يمكن ·

ج ـ المفاجـأة

ان استراتيجية الغموض تحقق بالاضافة للفوائد السابقة ضمان وقع المفاجأة وتأثيرها ، عندما تختار اسرائيل المناسبة لاشهار السلاح النووي أو التهديد باستعماله فوراً ، لارباك الجانب العربي وشل تفكيره في لحظات مصيرية حاسمة ، وهذا بخلاف الاعلان المسبق عن امتلاك السلاح النووي الذي يترك للجانب المقابل فرصة التفكير وتدبر الأمور ·

وليس هناك أدنى شك ان اسرائيل قد اعتمدت قواعد اساسية لاستراتيجيتها النووية على ضوء قدراتها في هذا المجال ، وستظهر ملامح هذه الاستراتيجية حالما تعلن عن امتلاكها للسلاح النووي · أو حالما تتأكد أن العرب أصبحوا يملكون اسلحة نووية ، أو انهم اقتربوا من القدرة على انتاج السلاح النووي ·

استعمال السلاح النووي

في كتابي (التحدي النووي في الشرق الأوسط) المطبوع عام ١٩٧٨ ، حددت ثلاث حالات يحتمل أن تقوم فيها اسرائيل باستعمال السلاح وهي :

١ ـ في حالة شن هجوم ناجح عليها من الدول العربية ·

٢ ـ في حالة قيام اسرائيل بهجوم على دول عربية بالاسلحة التقليدية ، وتعثر ذلك الجهوم ، أو وقوع خسائر كبيرة في قواتها ·

٣ ـ في حالة فرض حرب طويلة على اسرائيل سواء بدأتها هي أم بدأها العرب[٢٨] ·

وهذه الحالات لا تزال قائمة ، ولكن التطورات الاقليمية والعالمية خلال السنوات العشر الماضية ، تجعل من الضروري القاء مزيد من الضوء على هذهالمسألة ، وطرح احتمالات جديدة نتيجة تنامي القوة العربية بالأسلحة التقليدية ، أو المباشرة في تحول عربي نحو السلاح النووي ومحاولة صنعه ·

وعندما يدرس الاستراتيجيون في الغرب والشرق احتمال أسباب حرب نووية ، فأنهم يناقشون ذلك على طريقة وضع (سيناريو) وتصور تسلسل لاحداث المستقبل التي تطلق شرارة استعمال السلاح النووي · وهذه (السيناريوات) تكون تنبؤية طبعا ، وهم غالبا ما يتجاوزن التطورات السياسية التي أدت الى استعمال القوة ، من أجل تسليط الضوء على المخاطر العسكرية · ولا شك ان سيناريوات الحرب

النووية هي أكثر تحزراً أو تنبؤاً عما عداها ، لكونها تفتقر الى الخبرة بالحرب النووية منذ عام ١٩٤٥ · ولكن مهما كان حالها من التخيل فانها تساعد على معرفة المعاضل التي لم تفهم بعد ، أو المخاطر التي لم يتم منع وقوعها لعدم تصور حدوثها(٢٩) ·

وعلينا ان نتذكر ان أسباب وقوع الحروب السابقة أو حرب نووية في المستقبل ، بين دول حلف وارسو وحلف الأطلسي تختلف تمام الاختلاف عن الوضع القائم في الشرق الأوسط ، بسببت نشأة اسرائيل العدوانية ، ونوايا السيطرة والتوسع عن طريق القوة ، والهيمنة بالتالي على مقدرات المنطقة ، ولكون السلاح النووي بيدها وحدها في الوقت الحاضر ، وعليه فان استعمال السلاح النووي سيحدث من جانب واحد ، في الوقت الذي يراه هذا الجانب ملائما لاهدافه ومصالحه · لذلك سيكون سيناريو أي حرب نووية تشنها اسرائيل يختلف تماما عما يوضع في الشرق والغرب لهذه الغاية ·

ويمكن ان نتصور سيناريوات مختصرة ــ أو نسميها حالات ــ ترى فيها اسرائيل ضرورة استعمال السلاح النووي ، هذا بالاضافة الى الحالات الثلاث المذكورة آنفاً :

الحالة الأولى

تعمل سوريا منذ عام ١٩٨٢ للوصول الى توازن استراتيجي مع العدو ، وقد قطعت شوطاً بعيداً في هذا المضمار · تنضم دولة عربية أو أكثر في حلف دفاعي أو تنسيق عسكري جدي مع سوريا · وترى اسرائيل في ذلك خطراً مقبلا اذا تم التماسك العسكري والتخطيط الموحـد ، وتلجأ الى الضربة الوقائية ــ وهـي احدى قواعد استراتيجيتها ــ لاجهاض التماسك الجديد خلال مراحل التحضير مبتدئة بالاسلحة التقليدية والاعلان بنفس الوقت عن نيتها في استعمال السلاح النووي · وهناك من يري ان اسرائيل تسعى في السنوات الأخيرة لامتلاك سلاح نووي تعبوي (تكتيكي) ، أي من عيارات صغيرة ، ربما تكون ٥ر٠ كيلو طن الى ٥ كيلو طن ، وهذا يفسر عزمها على استخدام هذا السلاح في الميدان ضد التجمعات والحشود العسكرية ، وضرب أهداف اقتصادية محدودة(٣٠) ·

الحالة الثانية

يفترض هذا السيناريو انتهاء الحرب العراقية الايرانية ، وقيام وحدة عسكرية أو تنسيق عسكري فعال بين العراق وسوريا والأردن ، والفلسطينيين ، وتنسيق مع دول مجلس التعاون الخليجي · وهذا يعني بالنسبة لاسرائيل ان ميزان الأسلحة

التقليدية بينها وبين العرب يعاني من خلل خطير ، وان ليس لديها أمل في كسب المعركة ، أو تقدر ان المعركة ستفرض عليها خسائر بشرية لا تستطيع تحملها ، وتشهر والحالة هذه سلاحها النووي • يضاف الى ذلك ان قيام وحدة سياسية بين دولتين على الأقل من هذه الدول ستعتبره اسرائيل خللا استراتيجيا في غير صالحها ، وقد تتعامل معه بنفس الأسلوب •

الحالة الثالثة

يفترض هذا السنياريو عودة مصر الى خندق المواجهة ، وقيام تنسيق عسكري فعال بين دول المواجهة ـ مصر ، سوريا ، الأردن ، لبنان ، الفلسطينيون أو قيام قيادة موحدة فاعلة • وهنا تعلن اسرائيل ان الجبهة المصرية هي جبهة نووية ، أي انها ستستخدم السلاح النووي ضد أي تحرك مصري عسكري في سيناء وتهاجم الدول الأخرى بالاسلحة التقليدية ، ويكون السلاح النووي بالفعل موجوداً كاحتياط للتغلب على المواقف الحرجة مع الدول الأخرى .

الحالة الرابعة

نشبت حرب عالمية فجأة لسبب أو لآخر ، أو بين الدولتين العظميين واتباعهما في حلفي وارسو والأطلسي سواء بالأسلحة التقليدية أو النووية ، وتقرر اسرائيل اغتنام فرصة انشغال العالم بنفسه ، ويقدم رئيس وزراء اسرائيل انذارا في مهلة محددة لكل من مصر وسوريا والأردن بضرورة التنازل عن مناطق معينة من أراضيها لاسرائيل ، والا ضربت هذه الدول بالسلاح النووي • وتفجر اسرائيل قنبلة نووية من عيار صغير في منطقة خالية في صحراء سيناء ، لتبرهن على مصداقية استخدام السلاح النووي • وقد تغالي اسرائيل في استغلال الموقف العالمي ، وتطلب من هذه الدول اشياء أكبر والخضوع لمشيئتها ، وقد يشمل الطلب دولا عربية أخرى خارج دول المواجهة •

حالات أخرى

تقوم اسرائيل باستعمال السلاح النووي بضربة وقائية في حال افتراضها أو التأكد ان العرب أصبحوا يملكون اسلحة نووية ، أو أن لديهم القدرة للوصول الى ذلك في وقت قصير ـ ويتم ذلك حتى بالنسبة لدولة عربية واحدة اقتربت من القدرة النووية •

ومن المشكوك فيه أن تبقى اسرائيل بلا حركة ضد البرامج النووية العربية منذ بدايتها ، وستستعمل عدة أساليب ضدها مثل :

أ ـ قتل العناصر البشرية العاملة في هذه البرامج ـ مقتل العالم النووي المصري (يحيى المشد) في باريس الذي كان يعمل في البرنامج النووي العراقي ٠

ب ـ تدمير المعدات والتجهيزات النووية في بلد المنشأ ـ حدث مثل ذلك في فرنسا لمعدات عراقية ٠

جـ ـ الحملات السياسية والاعلامية والضغط على الدول المتعاونة مع الدول العربية في المجالات النووية ٠

د ـ التصدي لشحنات المواد والمعدات في الطريق لتدميرها قبل الوصول ٠

هـ ـ أعمال هجومية مباشرة مثل قصف المنشأت بالطائرات ، كما حدث للمفاعل النووي العراقي ، أو ارسال قوات كوماندوز محمولة جواً ٠

وقد ذكرت الأنباء الصحفية منذ بضعة شهور ان أحد معاوني (دان شمرون) المعين رئيس أركان الجيش الاسرائيلي ، قدم توصية الى القيادة الاسرائيلية يشير فيها الى اتباع المبدأ الآتي بالنسبة للبرامج النووية العربية وهو : ترك العرب يقيمون منشئاتهم النووية ، وتقوم اسرائيل بالانقضاض عليها جواً وتدمرها قبل أن تبدأ العمل ٠

وأخيراً ، فان اسرائيل أصبحت تستعمل قدرتها النووية مع امريكا كوسيلة ابتزاز ، فاذا تعرضت الى ضغوط سياسية من قبل الدول الكبرى أو من امريكا بالذات فقد تضرب أهدافاً فجأة بالأسلحة النووية ، أو تهاجم احدى الدول العربية لاحداث ارباك عالمي ٠ ويقول الباحث العسكري الامريكي روبرت هاركافي : بأن قرارا امريكيا يدعو الى وقف شحن الاسلحة وقطع الغيار الى اسرائيل أثناء حرب مستقبلية مع الدول العربية سوف يكون أحد الدوافع الاساسية وراء اتخاذ اسرائيل لقرار الرد الشامل الفوري بالسلاح النووي ـ على الأخطار المحدقة(٣١) ٠

الهوامش

١ ـ هذا التعريف للماريشال مونتغمري في كتابه « تاريخ الحرب » ـ النسخة الانكليزية ، صفحة ٥٦٠ ٠

٢ ـ لمزيد من التفاصيل راجع كتابي « التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط » ـ ١٩٨١ ، صفحة ٥٥ ـ ٥٧ ٠

٣ ـ الاسلحة النووية واستراتيجية اسرائيل ، فؤاد جابر ، ترجمة زهدي جار الله ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٧١ ، صفحة ٨٧ ٠

٤ ـ اسرائيل والطاقة الذرية ، ناجح الجسراوي ، طبعة ثانية ، عمان ١٩٨٦ ، صفحة ١٠٠ ـ ١٠١ ٠

٥ ـ الخيار النووي ، شاي فيلد مان ، ترجمة غازي السعدي ، دار الجليل للنشر عمان ١٩٨٤ ، صفحة ٢٣ ٠

٦ ـ ديفيد بن غوريون « بعث اسرائيل ومصيرها » نيويورك ١٩٥٦ ، صفحة ٤٨٩ ٠

٧ ـ الامكانات النووية للعرب واسرائيل ودورها في الصراع العربي الاسرائيلي ، الدكتور صدقة يحيى مستعجل ، ١٩٨٣ ، صفحة ٢٦٠ ـ ٢٦١ ٠

٨ ـ الاداة العسكرية الاسرائيلية والحرب الاسرائيلية الغربية المقبلة ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٩ ، رياض الاشقر ، صفحة ٢٢٩ ٠

٩ ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ٠

١٠ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ٢٣٢ ٠

١١ـ نفس المصدر في التسلسل (٧) صدقة يحيى مستعجل ، صفحة ٢٦٦ ـ ٢٧٠ ٠

١٢ـ سلسلة الدراسات الاستراتيجية (٢) القوة العسكرية الاسرائيلية ، حسين آغا ، أحمد سامح الخالدي ، قاسم جعفر ، ١٩٨٢ ، صفحة ٩٦ ٠

١٣ـ نفس المصدر في التسلسل (١١) ، صفحة ٢٦٨ ـ ٢٧١ ٠

١٤ـ نفس المصدر في التسلسل (١٢) ، صفحة ٩٦ ـ ٩٧ ٠

١٥ـ لمزيد من التفاصيل عن هذه السرقات ، راجع كتابي « التحدي النووي في الشرق الأوسط » ـ ١٩٧٨ ، صفحة ٣٩ ـ ٤٦ ٠

١٦ـ نفس المصدر التسلسل (١١) ، صفحة ٩٨ ٠

١٧ــ تقرير مجموعة الخبــراء المقدم الى السكرتير العــام للأمــم المتحدة بتاريــخ ١٩/٦/١٩٨١ ، صفحة ٢٠ ٠

١٨ــ اسرائيل والطاقة الذرية ، ناجح الجسراوي ، عمان ١٩٨٦ ، صفحة ١٠١ ٠

١٩ــ نفس المصدر السابق في التسلسل (١٢) ، صفحة ١٠٦ ٠

٢٠ــ اسرائيل والطاقة الذرية ، ناجح الجسراوي ، عمان ١٩٨٦ ، صفحة ١٠١ ــ ١٠٢ ٠

٢١ــ نفس المصدر في التسلسل (١٢) ، صفحة ١٠٨ ــ ١٠٩ ٠

٢٢ــ نفس المصدر السابق التسلسل (١٢) ، صفحة ١١٠ ــ ١١١ ٠

٢٣ــ نفس المصدر في التسلسل (٢٠) ، صفحة ١٠٢ ــ ١٠٣ ٠

٢٤ــ نفس المصدر السابق في التسلسل (١٢) ، صفحة ١١٢ ــ ١١٥ ٠

٢٥ــ نفس المصدر السابق في التسلسل (١٢) ، صفحة ٩٥ ــ ٩٦ ٠

٢٦ــ نفس المصدر في التسلسل (٢٠) ، صفحة ٨٠ ٠

٢٧ــ نفس المصدر في اتسلسل (١٢) ، صفحة ١٠٣ ــ ١٠٤ ٠

٢٨ــ لمزيد من التفاصيل راجع كتابي « التحدي النووي في الشرق الأوسط » ١٩٧٨ ، صفحة ٥٩ ــ ٦٢ ٠

٢٩ــ Living with Nuclar, The Harvard Study group, 1983, pp. 47.48.

٣٠ــ اسرائيل والطاقة الذرية ، ناجح الجسراوي ، صفحة ١٠٦ ٠

٣١ــ نفس المصدر في التسلسل (١٢) ، صفحة ١٠٢ ٠

الفصل الرابع

الخيار النووي المعلن

ذكرت في الفصل السابق عدداً من الفوائد التي تحققها اسرائيل من اعتمادها استراتيجية الشك والغموض فيما يتعلق بتسلحها النووي ، وقد اثبت هذا الغموض قيمته بالنسبة لردود الفعل العالمية ، وعلاقاتها بالدول الصديقة ، وخاصة بالولايات المتحدة ـ بالاضافة الى قيمته الردعية ـ لمساومتها وابتزازها للحصول على أحدث الأسلحة المتطورة كلما ظهر جيل حديث منها[1] ·

ويميل معظم الباحثين من داخل اسرائيل وخارجها انها لن تعلن عن امتلاك السلاح النووي صراحة ، الا اذا طرأت تطورات سياسية وعسكرية تجعل الاعلان عن السلاح النووي صراحة ، الا اذا طرأت تطورات سياسية وعسكرية تجعل الاعلان عن السلاح صنعت جميع قطع القنبلة النووية ولم تعمل على تركيبها بحيث لا يمكن تسميتها سلاحاً ، وتنتظر حصول العرب على سلاح مماثل لتعلن عن قدرتها النووية ، ومن بين التطورات العسكرية الحالات التي اوردتها في الفصل الثالث ، ولا يبقى هناك شك في ان اسرائيل تملك أو تستطيع ان تملك في وقت قصير جداً اسلحة نووية · وايد الياهو سلبيتر هذا الاتجاه حين قال : « ان ما ينشر في الخارج وفي اسرائيل منذ سنوات كثيرة ، لا يترك مجالا للشك في ان اسرائيل متقدمة على جاراتها العربيات ، في جميع الحقول التقنية المتعلقة بالذرة ، سواء عمليا أو لجهة وجود علماء ومعاهد بحوث ومعدات توفر لنا استقلالا أكثر من العرب في كل ما يتعلق بالتطوير في هذا المجال »[2] ·

وما دام أحد اطراف الصراع يملك سلاحاً نووياً فأن قرار استعماله وتبرير استعماله يبقى له وحده ، وعندما قرر الرئيس ترومان ضرب اليابان بالقنابل الذرية عام ١٩٤٥ ، كان دفاعه الاخلاقي انه بقتل مئة ألف نسمة أوقف حرباً لو استمرت لقتل فيها مليون نسمة · ولن تعجز اسرائيل عن ايجاد الذرائع التي تعتبر فيها ان وجودها أصبح في خطر ، وانها تستعمل السلاح النووي كملاذ أخير ، ومن ناحية أخرى

لا يستطيع الزعماء العرب ان يعرفوا بالتأكيد وبالضبط ، ما هو « الخط الأحمر » الذي تعتبر الدولة اليهودية تجاوزه خطراً عليها ، ولا يعرف أحد من الطرفين ردود فعل الدول الكبرى اذا وجهت اسرائيل فجأة (انذاراً نووياً) ضد العرب لانهم أصبحوا في نظرها على حافة الخط الأحمر ·· والوضع الراهن يعطي اسرائيل ميزة كبرى للتخويف بسبب قدرتها وامكاناتها على الردع[٣] ·

ويرى بعض الباحثين ان اسرائيل لن تتورع عن استخدام السلاح النووي لضرب تجمعات سكانية عربية رئيسية اذا قدرت انها تتعرض لخطر حقيقي نتيجة هجوم شمل للجيوش العربية يهدد كيانها ، ولكن لا أحد خارج اسرائيل يستطيع تحديد ذلك بدقة ، فقد تعتبر اسرائيل ان هجوما عربيا لاستعادة الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ هو خطر يهدد كيانها ، حتى لو أكد العرب للعالم باعلان مسبق ، ان هذا فقط هو هدفهم · وهناك من يذهب ان اسرائيل ستستخدم السلاح النووي في حالة هجوم عربي محدود وتقدمات ناجحة جزئية ، ويستند أصحاب هذا الرأي على الانباء التي كشف عنها النقاب بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، أن رئيسة وزراء اسرائيل – غولدا مائير – كانت قد أمرت بتجهيز طائرات الفانتوم بثلاث عشرة ، قنبلة نووية أثر النجاحات العربية في الأيام الأولى من الحرب[٤] · وقد يحدث هجوم عربي من دولة عربية واحدة ويسجل نجاحات ملحوظة ، وحينئذ تعتبر اسرائيل ذلك مبرراً كافياً لاستعمال السلاح النووي ·

ومنذ بداية الستينيات دارت داخل اسرائيل مناقشات خفية ، كثيرة حول الخيار النووي وسياستها النووية ، فكانت مدرسة الفكر اللنووي : بن غوريون ، بيريز ، دايان · والمدرسة التقليدية : رابين ، اسرائيل طال ، اريل شارون · ولكل مدرسة مفاهيمها ومبرراتها ، وظهرت آراء أخرى عديدة ضد جعل اسرائيل دولة نووية ، ومنها مناقشات الباحث (اسرائيل بر) ، ومئير باعيل ، رئيس حركة السلام الآن ، ولكن مدرسة الفكر النووي لم تعر انتباها لاحد ، ومضت في دفع البرنامج النووي حتى وصل الى ما هو عليه الآن فأصبح أمراً واقعاً ·

ويؤيد بعض الباحثين الاسرائيلين حالياً سياسة الصمت ، بينما يطالب البعض الآخر بالاعلان عن الخيار النووي ، ولكل موقف فوائده ومحاذيره · ويرد الكاتب

الاسرائيلي مارتن فان كريفلد على هذه المناقشات فيقول : « ان جميع الخبراء يؤمنون انة نبلة ذرية لدى اسرائيل ستكون اشارة البدء لسباق تسلح ذري في الشرق الأوسط. كما تؤكد المصادر الاجنبية الموثوقة ، ان الهوة في القوة التقليدية بين اسرائيل والدول العربية هي أكبر لصالح اسرائيل اليوم مما كانت عليه في أي وقت مضى ، ولا يمكن من الناحية المالية ، الحديث عن قلة كلفة التسلح الذري ، فقد يكون صنع القنبلة قليل الكلفة نسبياً ، ولكن التأكد من انها ستصل الى هدفها ، على الرغم من كل ما يمكن للعدو ان يفعله ومنع القنبلة العربية من الوصول الى اسرائيل ، فهو من أكثر الأمور كلفة ، ولا يمكن للردع الذري ان يحمي من جميع الأخطار ، ولا حتى من معظمها ، فستستمر حاجة اسرائيل الى قوات تقليدية ضخمة ، حتى بعد النجاح في بناء رادع نووي ، لردع عمليات التسلل والتخريب واندلاع الحروب المحلية . والعبء المالي المترتب على الاحتفاظ بقوة مزدوجة كهذه كاف لسحق قوة عظمى » .

كما قدم كريفلد عدة مناقشات على الصعيد الاستراتيجي ضد الاعتراف بامتلاك اسرائيل للأسلحة النووية ، وأهمها ان دخول العرب في سباق تسلح نووي مع اسرائيل سيجعلهم في وضع مميز نظراً لقدراتهم الاقتصادية ، والعوامل الاستراتيجية لبلادهم من حيث العمق والاتساع ، بينما حجم اسرائيل وشكلها لا يقدمان ضمانا لحماية قوتها النووية الضاربة في وجه هجوم عربي مفاجيء بالأسلحة النووية(٥) .

قد تعمد اسرائيل للاعلان والكشف عن قدرتها النووية في أي من الحالات المذكورة في الفصل السابق على شكل انذار نووي يسبق سخونة الموقف ، وقد تستمر في الصمت المطبق حتى تبدأ العمليات وعندئذ تضرب بالسلاح النووي لضمان هول المفاجأة فما هي ردود الفعل العالمية المحتملة ؟

الكشف عن القدرة النووية

ان استراتيجية الدولتين العظميين بالنسبة للسلاح النووي هي انهما تعتبران انتشاره خطراً كبيراً على مصالحهما وعلى استقرار العالم ، كما يبدو انهما تحاولان منع انتشار هذا السلاح بصورة مستمرة ، وكذلك شأن الدول الكبرى الأخرى ، وعليه سيكون رد الفعل لهذه الدول سلبياً على تغيير الموقف الاسرائيلي الحالي عن

طريق الكشف عن امتلاك السلاح النووي ، وهذا يعني تلقائياً انها اختارت السلاح النووي فيما يتعلق بالأمن القومي ٠

لا يستطيع أحد ان يبين على وجه التحديد ما هي الخطوات التي ستتخذها الدول العظمى بهذا الصدد ، ولكن امعان النظر فيما يمكنها فعله قد يقع ضمن الحالات التالية :

أ ـ الاحتجاج والاستنكار ٠ وهذا الاجراء لن يقدم ولا يؤخر ، وتتوقف موجة الاحتجاج خلال أيام معدودة ، وتمضي اسرائيل بغنيمة امتلاك السلاح النووي جهاراً ٠

ب ـ قطع العلاقات السياسية والمقاطعة الاقتصادية ٠ من غير المحتمل ان تتفق الدول الكبرى جميعها على هذا الاجراء ، حيث سيكون لكل دولة وجهة نظر وتبريرات مختلفة بدعوى عدم دفع اسرائيل الى حافة اليأس وخاصة موقف الولايات المتحدة ٠ واذا اتخذ مجلس الأمن الدولي قرارا بهذا الخصوص مؤيدا من الدول الكبرى ، فستلتزم هذه الدول بذلك من الناحية الأدبية ، ومثل هذا الرد سيحبط الى درجة كبيرة المغانم الاسرائيلية الناجمة عن اعلان الخيار النووي ٠

ج ـ اتخاذ خطوات عقابية عملية من قبل الدولتين العظميين لابطال فعالية القدرة النووية الاسرائيلية ، ويأخذ هذا العمل طريقتين : الأولى ، التدخل العسكري بهدف تجريد اسرائيل من سلاحها النووي ٠ وهذا الاحتمال بعيد جداً وهو أقرب الى (التمني) ، لان الدولتين لم تتبنيا مثل هذا العمل من قبل في أي نقطة ساخنة في العالم ، وعليهما الاتفاق على حل خلافاتهما في كافة المجالات الأخرى ، وهذا ليس بالواقع المنظور ، وبالاضافة الى ذلك فأن الدولتين تعلمان الى درجة كبيرة جداً المدى الذي وصلت اليه اسرائيل في البرنامج النووي ، ولم تحركا ساكنا خلال ربع القرن الماضي سواء على الصعيد المنفرد أو مجتمعة ، لايقاف البرنامج قبل أن يستفحل شره وخطره ٠ وعليه فانهما تعدان خططهما للتكيف مع الموقف الناشىء عند الاعلان أو كشف القدرة النووية الاسرائيلية ٠

أما الطريقة الثانية ، فهي تقديم ضمان للدول العربية لحمايتها في حال استعمال اسرائيل لسلاحها النووي ٠ وتعليقي على هذا انه ليس ضمانا كافيا لان الموقف المحلي والعالمي سيتغير حتما اذا استعملت اسرائيل سلاحها النووي في المستقبل ، وربما ترددت الدولتان وقتئذ في الرد حتى لو كانتا في أحسن حالات الوفاق فيما بينهما ٠

واذا فكرنا باحتمال ضمان أكثر تفاؤلا ، وهو وضع صواريخ تحمل رؤوسا نووية في أراضي بعض الدول العربية فسيكون أمر اطلاق هذه الصواريخ خاضعا للدولتين العظميين ، وقد تنطبق عليه حالة التردد الواردة آنفاً ومما لا شك فيه ان مثل هذا الوضع يهيء قيمة ردعية كبيرة تجعل العدو يحسب حساباته بدقة ، ويفكر مئات المرات قبل أية خطوة نووية ٠

واذا حددنا الاحتمالات والأعمال الممكنة لكل واحدة من الدولتين العظميين فسنجد انها تنحصر فيما يلي :

الردود السوفيتية

لقد أورد الباحث الاسرائيلي شاي فيلدمان ستة أعمال ممكنة أمام السوفيت سماها (طرق) ، ولا بد للباحث ان يوردها من الناحية النظرية ، لايضاح كافة جوانب الموقف ، ومن المفيد أن أذكرها هنا متبوعة بتعليق حول قابلية التنفيذ والتطبيق[٦] ٠

أ ـ انزال ضربة مسبقة وقائية ضد اسرائيل

لن يقوم الاتحاد السوفيتي بهذه الخطوة من أجل عيون العرب وخلق أزمة مجابهة نووية مع الولايات المتحدة ٠ ويقوم الاتحاد السوفيتي بذلك في حالة واحدة فقط وهي : عندما يتأكد أن السلاح النووي الاسرائيلي موجه ضد الاتحاد السوفيتي أو انه جرى تخزين لأسلحة نووية امريكية في اسرائيل ٠

ب ـ تزويد بعض الدول العربية بأسلحة نووية مثل سوريا والعراق وربما مصر

هذا الاحتمال غير وارد اطلاقا ، وقد حاولت مصر الحصول على ذلك أواخر الستينيات ولم تحصل على تلك الأسلحة ، بل اكتفى السوفيت بتطمين مصر انهم معها ضد استعمال اسرائيل للسلاح النووي ٠ وتزويد السلاح النووي طواعية يكسر التزام الدولة العظمى بمنع انتشار الأسلحة النووية ، ويخلق تعقيدات مواقف جديدة على الصعيد العالمي ٠

جـ ـ اعطاء ضمانات نووية ضد استخدام اسرائيل للسلاح النووي

ويرافق ذلك نصب اسلحة نووية في عدد من الدول العربية ٠٠٠ اعطاء الضمانات وارد وممكن ، ويشير المراقبون الى احتمال أن معاهدة الصداقة الروسية/السورية

لعام ١٩٨٠ قد اشتملت على مثل هذا الضمان • أما تنفيذ مثل هذا الضمان ، فيعتقد ان الطريقة الأمثل تتم بواسطة نصب اسلحة نووية في الدول المعنية ، ولكن ليس قبل بلوغ التهديد الاسرائيلي ذروته • وتبقى علامات استفهام كثيرة عن مدى مصداقية التنفيذ عند الدولة الضامنة عندما يتطلب الموقف ذلك على الطبيعة • وخاصة اذا قامت اسرائيل باستخدام عدد قليل من القنابل النووية الصغيرة على أهداف عسكرية ، كالتحشدات الميدانية بدعوى استباق هجوم عربي وشيك •

د ـ زيادة التدخل السياسي والعسكري السوفيتي في المنطقة دون وجود ضرورة لاتخاذ رد نووي

هذا الاحتمال ليس له مكان اذا لم يقدم السوفيت دعما من نوع ما للعرب • أما على شكل اسلحة تقليدية أكثر تقدماً ، أو صواريخ أرض/أرض موجهة وحديثة ذات رؤوس تقليدية • وهذه الأسلحة لا تردع القوة النووية الاسرائيلية • ومن حق العرب عندئذ الاصرار على امتلاك سلاح تدمير شامل آخر كالغازات ووسائل الحرب الكيماوية • واميل الى الاعتقاد ان موقف السوفيت للتدخل السياسي والعسكري سيكون ضعيفا للغاية ، وليس له ما يبرره بدون دعم عسكري يمكن ان يؤدي الى ايقاف التهديد النووي الاسرائيلي •

هـ ـ عدم الرد

واستمرار السوفيت بنشاطهم الحالي على الصعيد السياسي أو العسكري • وهذا اشبه بموقف اللامبالاة ، ويسبب الكثير من الضرر للعلاقات العربية السوفيتية • وهو موقف سلبي يجعل السوفيت يفقدون مصداقيتهم ووزنهم كدولة عظمى • وعليه سيحاول الاتحاد السوفيتي والحالة هذه تجميع رأي عام عالمي ضاغط عن طريق الهيئات الدولية •

و ـ محاولة التخلص التدريجي من دائرة النزاع العربي الاسرائيلي

بسبب النزاع العربي الاسرائيلي ، تمكن الاتحاد السوفيتي من القفز فوق نطاق الاحلاف الغربية والوصول الى الدول العربية عن طريق بيع السلاح •

ومنطقة الشرق الأوسط ذات أهمية حيوية للاتحاد السوفيتي لكونها تقع على حدوده الجنوبية علاوة على أهميتها من حيث الاستراتيجية العالمية والمنافسة بين القوى العظمى ، والتخلص التدريجي يعني ترك المنطقة للآخرين . ويصعب تصور حدوث ذلك في منظور الاستراتيجية السوفيتية .

وبالرغم من غموض الالتزام الامريكي بضمان وجود وأمن اسرائيل ، فانه يشكل ضمانا كافياً ورادعاً ، أمام أي عمل سوفيتي عسكري موجه ضد اسرائيل[٧] .

الرد الامريكي

اذا تحركت امريكا بصدق من مبدأ معارضتها انتشار الأسلحة النووية في وجه قدرة نووية اسرائيلية معلنة ، فأن اسرائيل ستدفع ثمناً باهظاً قد لا تستطيع الوقوف أمامه . وخاصة اذا كان الرد الامريكي بصورة مطلقة وعملية ، مثل وقف المساعدات الاقتصادية والعسكرية عن اسرائيل ، وربما زادت على ذلك بايقاف الدعم السياسي في المحافل الدولية . ان أي اجراء امريكي حازم على الصعيد الاقتصادي والعسكري سيعرض أمن اسرائيل للخطر على الصعيدين التقليدي والنووي[٨] . ان المعارضة الامريكية الشاملة للانتشار النووي ستبرر بالتأكيد قوة الرد .

ومن جهة أخرى ، هناك اعتبارات عدة تؤثر على الرد الامريكي المتوقع وتعمل على تخفيفه . وتمر الازمة بزوبعة خفيفة لا تؤثر على استمرار المساعدات وبقاء الدور الامريكي الداعم لاسرائيل حسب النسق المتبع . وهذه الاعتبارات هي[٩] :

١ ـ تعامل قضية اعلان اسرائيل عن السلاح النووي على انها أمر واقع ، وليس من الممكن اعادة الشيطان الى الزجاجة . ويتحول التفكير الامريكي الى التكيف مع الواقع الجديد ، ووضع الخطط الكفيلة بتقليص اضراره ، وقد يبدو العقاب في هذه الحالة عديم الفائدة والمنطق .

٢ ـ قد ترجح الولايات المتحدة استمرار تقديم المساعدات لاسرائيل لمنع وقوع حرب نووية . ويؤثر وقف المساعدات على قوة اسرائيل التقليدية مما يدفعها الى تبرير الرد باستخدام الأسلحة النووية حتى في حالات تعرضها لتهديدات متوسطة الخطورة . ويعتقد فيلدمان ان من شأن استمرار المساعدات الامريكية لاسرائيل

تعزيز (القدم) التقليدية الاسرائيلية ، وتعزيز الاحتمالات ان التهديدات الخطيرة جداً هي التي ستجر اسرائيل الى الرد النووي فقط ٠

٣ ـ ان انتقال اسرائيل الى تبني الخيار النووي العلني لن يكون مفاجئا للقيادة الامريكية ، ويعتقد معظم الامريكيين ان اسرائيل تملك حاليا اسلحة نووية ، وكانت تقارير المخابرات الامريكية منذ أواخر الستينيات تضع المسئولين في واشنطن بالصورة الكاملة عن مراحل البرنامج النووي الاسرائيلي والنقطة الأخيرة التي وصل اليها ٠ ولذلك لن تكون السياسة النووية العلنية مثيرة ولا مفاجئة تماما للامريكيين ٠

٤ ـ قد ينشأ موقف ضاغط امريكي على اسرائيل لحملها على التوقيع على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية لكونها أصبحت دولة نووية ، وان تلتزم ببنود المعاهدة وتكتفي امريكا بذلك حالما توقع اسرائيل هذه المعاهدة ولا يحتمل ان ترفض اسرائيل التوقيع عليها ٠

٥ ـ الاعتبار الخاص

تعامل امريكا دولة اسرائيل على انها «حالة خاصة» في جميع المواقف ، ولا يبدو الموقف النووي المعلن شاذا عن هذه القاعدة ٠ نظراً لان الالتزام الامريكي بالحفاظ على بقاء وأمن اسرائيل لم يزعزعه أي حادث خلال السنوات الطويلة الماضية ٠ وأمام الحقائق التي كانت توضع بين يدي القيادة الامريكية عن سير لابرنامج النووي الاسرائيلي أولا بأول ، لم تتحرك تلك القيادة في أي وقت للضغط على اسرائيل لوقف البرنامج ، وخير مثل على ذلك هوان ادارة الرئيس جونسون لم تكن مصرة في طلبها الحصول على تعهد اسرائيلي بعدم انتاج أسلحة نووية ، عندما قدمت المخابرات المركزية تقريرها عام ١٩٦٨ ، وبعد تأخير متعمد ، أمر الرئيس جونسون موظفيه بالتخلي عن جهودهم بخصوص الاشتراط على اسرائيل لتقديم التعهد المرغوب ، مقابل تزويدها بأسلحة تقليدية ٠ وتأكدت المعاملة الخاصة لاسرائيل بصورة أكثر بروزاً في عهد ادارتي نيكسون وفورد ، واستمرت في عهدي كارتر وريغن ٠

الاستعمال المفاجيء للسلاح النووي

قد تعمد اسرائيل الى استعمال السلاح النووي في أي من الحالات المذكورة في الفصل الثالث دون اعلان مسبق عن تبني الخيار النووي ودون انذار ، فما هي ردود الفعل العالمية وردود فعل الدولتين العظميين الاتحاد السوفيتي وامريكا ..

اذا امعنا النظر ثانية في ردود الفعل المحتملة في هذا الفصل ، وما يمكن ان يحدث لمواجهة الأمر الواقع ، فلا نجد شيئا عمليا جديدا يمكن ان يضاف الى القائمة ، وسيتلخص الموقف كالآتي : احتجاج واستنكار عالمي وتنديد شديد باسرائيل ، وبرقيات ترحم واسى على ارواح الضحايا العرب ، وتتكيف مواقف الدول العظمى مع الواقع الجديد ، وبالتالي يتناسى العالم ما حدث . وتبتلع اسرائيل كل ذلك وهي في وضع التفوق بالقوة المطلقة .

الهوامش

١ ـ الأسلحة النووية واستراتيجية اسرائيل ، فؤاد جابر ، ترجمة زهدي جار الله ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٧١ ، صفحة ١٥٠ ٠

٢ ـ الاداة العسكرية الاسرائيلية ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٩ ، رياض الاشقر ، صفحة ٢٣٢ ٠

٣ ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ٠

٤ ـ اسرائيل والطاقة الذرية ، ناجح الجسراوي ، عمان ١٩٨٦ ، صفحة ١٠٦ ٠

٥ ـ نفس المصدر السابق التسلسل (٣) ، صفحة ٢٣٤ ٠

٦ ـ الخيار النووي ، شاي فيلدمان ، ترجمة غازي السعدي ، دار الجليل للنشر ، عمان ١٩٨٤ ، صفحة ١٩١ ـ ١٩٢ ٠

٧ ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ٢٠٣ ٠

٨ ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ٢٠٥ ـ ٢٢٣ ٠

٩ ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ٢٢٥ ـ ٢٢٧ ٠

الفصل الخامس

القدرات النووية العربية

لا شك ان انباء امتلاك اسرائيل للسلاح النووي قد شغلت بال القيادة السياسية في مصر منذ اذيعت الاسرار عام ١٩٦٠ ، وأخذت قسطا كبيرا من تفكير الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وكانت مصر حتى مبادرة الرئيس السادات الدولة الرئيسية في الصراع العربي الاسرائيلي ، وأكثر الدول العربية تقدما في الميادين التكنولوجية والعسكرية ، والدولة الوحيدة التي اشتركت في جميع الحروب العربية الاسرائيلية • لذلك دعا الرئيس جمال عبد الناصر من خلال مجلس الجامعة العربية وبمبادرته الشخصية ، دعا في بداية عام ١٩٦١ الى اتخاذ موقف موحد ازاء التهديد النووي الاسرائيلي •

ولكن قرارات مجلس الجامعة لم تكن تصل الى درجة التنفيذ ، وكانت الخلافات السياسية العربية في أعلى درجاتها في ذلك الوقت بالذات ، لذلك بدأت مصر نشاطاً منفرداً لمجابهة الموقف الجديد ، وجرى التفكير في توجيه ضربة وقائية بالطيران لمنشئات «ديمونا»(١) ، ولكن فكاك الوحدة بين مصر وسوريا في أيلول ١٩٦١ ، والظروف العربية والدولية القائمة في ذلك الوقت حالت دون تحقيق ذلك •

بعدئذ انصب نشاط مصر على تجهيز منظومة من سلاح الصواريخ أرض/أرض بمساعدة خبراء المان ، والسعي الى تزويد تلك الصواريخ برؤوس حربية تحوي مواد اشعاعية ، بالاضافة للرؤوس الحربية التي تحوي مواد متفجرة تقليدية ، وذلك كردع مقابل السلاح النووي الذي كانت اسرائيل تحاول امتلاكه • وقامت اسرائيل بحملة اعلامية واسعة النطاق في العالم ضد نشاط مصر في مجال الصواريخ ، وضد الخبراء الالمان ، كما قامت المخابرات الاسرائيلية بتوجيه التهديد والرسائل الملغومة الى هؤلاء الخبراء وعائلاتهم واقربائهم حتى المتواجدين منهم في المانيا ، وتنفيذ حملة استدرار العطف ، بارسال مندوبين صهاينة لزيارة اقرباء الخبراء وعائلات كبار السياسين ، والطلب

اليهم ان يوقفوا اقرباءهم عن التعاون مع مصر ، حتى لا يتسببوا في وقوع كارثة جديدة للشعب اليهودي ، وفي هذا الطلب أيضا ابتزاز للشعب الالماني عن طريق تذكيره بالكوارث التي حلت باليهود ابان الحكم النازي • لذلك حالت الصعوبات التي واجهتها صناعة الصواريخ المصرية دون اتقان توجيه هذه الصواريخ الى الأهداف المطلوبة ، أو تزويدها برؤوس اكثر فاعلية من الرؤوس ذات المتفجرات التقليدية ، حتى نشبت حرب حزيران ١٩٦٧ •

وكانت الخطوة الثانية التي اتخذها الرئيس جمال عبد الناصر هي ايجاد تماسك عربي ، فدعا الى مؤتمر القمة الأول الذي عقد بالقاهرة من ١٣ ــ ١٧ كانون الثاني ١٩٦٤ ، وحضره ملوك ورؤساء الدول العربية ، وكان السبب الرئيسي لهذه الدعوة هو مجابهة اسرائيل بموقف موحد حيث كانت مشاريعها لتحويل مياه نهر الاردن تقترب من الانتهاء •

ونتيجة لهذا المؤتمر جرى انشاء القيادة العربية الموحدة ، وهيئة خاصة للاشراف على تنفيذ المشروع العربي لتحويل روافد نهر الأردن ، وغيرها من القرارات وتعطلت أعمال هذه الهيئات بسبب الخلافات العربية اعتباراً من عام ١٩٦٦ •

كانت هذه هي السياسة الرئيسية لمجابهة المعضلة النووية قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، بينما كانت اسرائيل تقترب من القدرة على امتلاك السلاح النووي • وكان هدف الرئيس جمال عبد الناصر بعد ذلك ايجاد قنبلة على أرض مصر ، ولم يزوده الاتحاد السوفياتي بهذه القدرة أو بسلاح نووي ، ولكن السوفيت تعهدوا بحماية مصر في حال امتلاك اسرائيل لهذا السلاح ، وتحول انتباه مصر الى مشاكل أخرى اكثر الحاحا بعد حرب عام ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف التي اعقبتها ، وتشير الدلائل الى ان اسرائيل تحركت في هذه الفترة بالذات الى فكرة ايجاد قنبلة (القبو) بصورة سرية تماما(٢) •

برنامج مصر النووي

تأسست اللجنة المصرية للطاقة النووية عام ١٩٥٥ ، وتبع ذلك افتتاح مركز للأبحاث النووية في انشاص عام ١٩٥٧ ، وابتاعت مصر فرن أبحاث نووية صغير بقوة ٦ ميغا واط عام ١٩٦١ من الاتحاد السوفيتي لاعداد جيل من الفيزيائيين ، وجرت

محاولات عدة في المجال المدني واجراء مسح جيولوجي للبحث عن اليورانيوم والثوريوم ، وقد اكتشفت عام ١٩٦٩ كميات من الرمل الأسود المشبع باليورانيوم بالقرب من اسوان في الصحراء الشرقية ·

وجرت عملية تسريع للبرنامج النووي اعتباراً من عام ١٩٨١ ، حيث اعلنت مصر موافقتها على التوقيع على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية يوم ٢٤ كانون أول ١٩٨١ ، وبعدها وقعت اتفاقية مع فرنسا لبناء فرنين نوويين لانتاج الطاقة بقوة ٢٠٥ ميغا واط وهما للأغراض السلمية(٣) ·

وتسعى مصر لبناء مفاعل تبلغ طاقته ألف ميغا واط ، وهي طاقة تثير مخاوف الاسرائيليين · ويقول العلماء ان بامكان مفاعل من هذا النوع اذا ما خضع لتعديلات تقنية بسيطة ، ان يساعد على صناعة القنبلة النووية ، واذا امتلكت مصر القدرة النووية فانها ستحدث خللا استراتيجيا كبيراً لصالح العرب ·

برنامج العراق النووي

ركزت اسرائيل والقوى المؤيدة لها على منع العراق من الوصول الى التكنولوجيا النووية ، مع ان العراق وقعت على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية واخضعت مفاعلها (تموز) لاشراف وكالة الطاقة الدولية ، وأكدت ان الغاية من هذا المفاعل هي الأغراض السلمية ، وكان برنامج العراق النووي أكثر طموحا من البرامج العربية الأخرى ، وقد تضرر البرنامج العراقي أولا حينما قتل عالم الذرة المصري (يحيى المشد) في باريس يوم ١٣ حزيران ١٩٨٠ ، وكان هذا العالم خبيراً في علوم المعادن ، وبدأ عمله في البرنامج النووي العراقي منذ عام ١٩٧٥ ، وقبل ذلك اشغل منصب عميد كلية العلوم الذرية في جامعة الاسكندرية(٤) ·

وحاق الضرر الاكبر بالمفاعل العراقي حينما هاجمته الطائرات الاسرائيلية في حزيران ١٩٨١ ، وتملك العراق مفاعلا نووياً آخر قوته ١٠ ميغا واط للأغراض السلمية · والاعتقاد السائد في اسرائيل ان العراق هو الدولة العربية الأولى المرشحة لامتلاك أسلحة نووية خلال السنوات القليلة المقبلة ·

برنامج سوريا النووي

شكلت سوريا لجنة للطاقة النووية في أذار عام ١٩٧٦ ، وفي مطلع عام ١٩٧٨ وقعت اتفاقية مع عدد من الشركات في أوروبا الغربية لاجراء مسوح ودراسات بهدف دخول سوريا مجال التكنولوجيا النووية للاغراض السلمية ٠

برنامج ليبيا النووي

تسعى الجماهيرية الليبية للحصول على أسلحة نووية أو قدرة نووية ذاتية ، ويشمل البرنامج الليبي تحضير الكوادر الفنية اللازمة منذ بدايته ، وتضم المنشئات النووية الليبية مفاعل أبحاث بطاقة ١٠ ميغا واط ، وموقع لمفاعل لاغراض التدريب ، وقد بدأ العمل فيها عام ١٩٨٢ ، ويعمل في هذه المنشئات عدة مئات من الليبيين[٥] ٠

ان وصول دولة عربية واحدة على الأقل للقدرة النووية ـ امكانية صنع سلاح نووي ـ سيؤدي الى قيام معطيات جديدة للصراع العربي الاسرائيلي ، وميزة استراتيجية عظيمة في مجابهة السلاح النووي الاسرائيلي ، وستخلق ما يسمى بـ (توازن الرعب) بين الطرفين ، وهذا التوازن سيفقد السلاح النووي الاسرائيلي ميزة احتكار القوة النووية في المنطقة ، وسيكون امتلاك العرب للأسلحة النووية عاملا رئيسياً في تقوية موقفهم ضد اسرائيل سياسياً وعسكرياً[٦] ، كما يمكنهم من جني ثمار عناصر القوة الموجودة لديهم كالكثرة العددية والعمق الاستراتيجي والوزن الاقتصادي والسياسي ٠

تطورات السياسة النووية العربية

ان قيام اسرائيل بتبني الخيار النووي والسير قدماً بتطوير أسلحة نووية هو اساسا موجه ضد العرب جميعاً ويشكل خطراً عظيماً على الأمن العربي ، ولم تكن الدول العربية مهتمة بالقوة النووية الاسرائيلية قبل ان تكتشف اسرار النشاط النووي الاسرائيلي في أوائل الستينيات ، وأخذت الأدلة تتزايد يوماً بعد يوم على شكل تقارير استخباريه عالمية ، أو تقدير دراسات مراكز استراتيجية أو تسرب أخبار على لسان اسرائيلين أو رسميين خارجها ٠ ولم تعد سياسة الانكار الرسمية التي تتبناها الحكومة الاسرائيلية تستند على دليل في وجه الحقائق والبينات التي تتناقلها وسائل الاعلام

العالمية[٧] • وكانت مصر هي الدولة العربية الأولى التي بادرت الى الاهتمام ببرنامج اسرائيل النووي ، وتحاول مواجهته بعمل مضاد •

ان ادراك العرب للخطر النووي الاسرائيلي حفزهم على الاهتمام للحصول على السلاح النووي عن طريق ابتياعه من دولة نووية ـ وهذا ما لم يحدث ولا يمكن حدوثه ـ أو طلب حماية نووية ، وطلب الحماية النووية عامل غير مضمون حيث لا يعرف أحد تقلبات السياسة الدولية في المستقبل وظروف الدولة التي تمنح الحماية في مجابهة قوة نووية أخرى عندما تدعو الحاجة لاختبار مصداقية الحماية •

منذ أوائل السبعينات ، اتخذ الاهتمام العربي بالقوة النووية كمصدر للطاقة بصورة اساسية وما زال التركيز العربي منصبا على التطبيقات السلمية للقوة النووية ، وهذا ينطبق على معظم الدول العربية التي وضعت برامج نووية للمستقبل ، وقد رهنت هذه الدول برامجها بالتوقيع على اتفاقية حظر التجارب النووية[٨] •

ومهما يكن من أمر فان البرامج النووية السلمية ذات فائدة كبرى في اعداد الفنيين والخبراء في التكنولوجيا النووية ، ويشكلون نواة جيدة وعدة للمستقبل ، واذا نظرنا الى توفر العوامل اللازمة لصنع السلاح النووي لدى العرب وهي : توفر العلماء ، توفر المواد والافران ، توفر المال ، اجراء التجارب النووية ، فاننا نجد انها متوفرة ما عدا توفر الافران ذات الطاقة الكافية لانتاج المادة القابلة للانشطار ، وتتردد الدول الكبرى الصانعة لمثل هذه الافران في بيع العرب ، ويمكن الاستنتاج ان القوى الكبرى وخاصة أمريكا تعارض ذلك معارضة شديدة ، ولكن التماسك العربي والتصميم على الهدف لا بد وأن يؤتي ثماره ، وتعارض اسرائيل أي برنامج نووي عربى للاغراض العسكرية وتخطط لضربه قبل ان يصل مرحلة الانتاج •

والأمة العربية مدعوة للدفاع عن وجودها وبقائها وعليها ان تضع مثل (الأمن قبل الخبز) شعارا لنشاطاتها النووية والدفاعية ، ويكفي ان تمتلك دولة عربية واحدة السلاح النووي ، لتصبح في كفة الميزان النووي قوة مضادة للقوة النووية الاسرائيلية ، وتحقق للعرب درجة عظيمة من الحماية وردع العدو ، وهذا يتطلب بالدرجة الأولى استخدام استراتيجية عربية موحدة وملائمة لظروف الموقف السائد ، لمجابهة القوة النووية الاسرائيلية •

والوصول الى القدرة النووية العربية ليس أمرا سهلا أمام الصعوبات التي يضعها الآخرون ، ولكن التصميم العربي والارادة العربية ـ مدعومة بالامكانات الهائلة لا بد وان نتغلب على الصعاب،ولا يمكن شراء القنابل النووية بل يجب أن يصنعها طالبها بأظافره، ولا يمكن ان تحمي الدول العربية دولة نووية أخرى ضد يأ هجوم نووي اسرائيلي[٩] ، حيث تتغير المفاهيم الاستراتيجية والمصالح القومية حسب المواقف السائدة في العالم ، وما هو الضمان الذي يجعل الكفيل يفي بتعهده ؟ ٠

عتبة العصر النووي

مع ان القدرات النووية العربية الحالية محدودة نسبيا مقابل الشوط البعيد الذي قطعته اسرائيل في هذا المجال ، الا ان بعض المحللين الاسرائيليين يعتبرون ان منطقة الشرق الأوسط قد دخلت العصر النووي ، ويقول شاي فيلدمان الباحث في مركز الدراسات الاستراتيجية في تل ابيب ما يلي[١٠] : « ان الفكرة التي تقول بان الشرق الأوسط يقترب من العهد النووي لم تعهد صحيحة اطلاقا ، حيث ان هذه المنطقة قد أصبحت بالفعل في هذه المرحلة مسرحا للسلاح النووي ، وتتميز هذه الحقيقة بان كل دول المنطقة قد أعدت لنفسها خططا نووية مختلفة من حيث نوعيتها وخطورتها ، بعض هذه الخطط تحمل طابعاً عسكرياً واضحاً ، وهدفها انتاج السلاح النووي ، والقسم الآخر يحمل طابعا مدنيا ، ويتم في نطاق تطوير مصادر بديلة للطاقة ، لكن علينا ان نذكر ان الطاقة النووية هي واحدة وباستطاعة منتجيها توجيهها للاستخدامات العسكرية أو المدنية حسب حاجاتهم ورغباتهم » ٠ ويصل فيدمان الى استنتاج ان هناك خطورة على اسرائيل من احتمالين :

١ ـ تزويد الباكستان لدولة عربية أو اكثر بالقنابل النووية ، ويضيف ان الخطة النووية الباكستانية ـ الدولة الا بعد جغرافيا عن اسرائيل ـ هي الاكثر قربا من التنفيذ ٠

٢ ـ قيام العراق بتطوير قنبلة نووية ٠

وتتفاوت التقديرات الاسرائيلية حول مدى قرب المنطقة فعلا من العصر النووي ، وذلك حسب المضمون الاعلامي للأحاديث الاسرائيلية والأهداف المتوخاة منها ٠ لذلك فانه من الصعب تحديد الفترة الانتقالية التي تبني القيادة الاسرائيلية تقديراتها عليها ، واللازمة لوصول العرب الى القدرة النووية ٠

البلاد ذات القدرة على امتلاك الاسلحة النووية خلال القرن الحالي[١١]

بحوزتها سلاح نووي	لديها حافز قليل	لديها بعض الحافز	لديها حافز عـالٍ
الولايات المتحدة	استراليا	الارجنتين	العراق
الاتحاد السوفيتي	النمسا	البرازيل	ليبيا
بريطانيا	بلجيكا	تشيلي	الباكستان
فرنسا	كنـدا	كوريا الجنوبية	جنوب أفريقيا
الصين	تشيكوسلوفاكيا	تايوان	
الهنـد	الدانمارك		
اسرائيل	المانيا الشرقية		
	مصر		
	فنلندا		
	ايـران		
	ايطاليا		
	اليابان		
	المكسيك		
	هولندا		
	النرويج		
	بولندا		
	رومانيا		
	السعودية		
	اسبانيا		
	السويد		
	سويسرا		
	المانيا الغربية		
	يوغسلافيا		

الهوامش

١ ـ The Hiddem Debate : The Formation of Nuclear Doctrines in The Middle East, Uri Bar - Joseph Journal of Strategic Studies, Vol. 5, June 1982, Page 206.

٢ ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

٣ ـ الخيار النووي ، شاي فيلدمان ، ترجمة غازي السعدي ، دار الجليل للنشر عمان ١٩٨٤ ، صفحة ٧٩ ـ ٨٠ .

٤ ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ٨٣ .

٥ ـ نشرت مجلة تايم في عددها الصادر بتاريخ ٣ حزيران ١٩٨٥ تفاصيل كثيرة عن البرنامج النووي الليبي ومحاولة الرئيس القذافي شراء قنبلة نووية من الصين عام ١٩٧٠ .

٦ ـ الامكانات النووية للعرب واسرائيل ودورها في الصراع العربي الاسرائيلي ، دكتور صدقي يحيى مستعجل ، ١٩٨٣ ، صفحة ٢٨٢ .

٧ ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ٢٨٤ ـ ٢٩٠ .

٨ ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ٢٩١ .

٩ ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ٢٩٣ ـ ٢٩٩ .

١٠ ـ القوة العسكرية الاسرائيلية ، حسين آغا ، أحمد سامح الخالدي ، قاسم جعفر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٢ ، صفحة ٨٦ ـ ٨٧ .

١١ ـ Living With Nuclear Weapons, The Harvard Nuclear Study Croup, 1983, Page 222.

الفصل السادس

مجابهة الخطر

منذ بدأ البشر يقذفون بعضهم بعضا بالحجارة والحراب ، لم يمض وقت طويل قبل أن يقرر شخص ما ان استعمال التروس والدروع يهيء دفاعا جيدا ضد الهجوم • ومع تقدم التاريخ ، أدى ظهور الاسلحة الهجومية الجديدة الى ظهور أسلحة دفاعية مقابلها ، فكانت حواجز القضبان والجدران ، والقلاع ، والسفن المدرعة والدبابات ، والمدافع المضادة للطائرات والدبابات ، والاقنعة الواقية من الغازات السامة وما شابه ذلك • ولكن الاسلحة الهجومية كانت على الدوام تسبق الاسلحة الدفاعية بخطوة واحدة ، أي ان السلاح الهجومي يظهر أولا ثم تبدأ عملية ابتكار الوسائل التي تحمي من هذا السلاح الى درجة كبيرة ، وربما تعطله • ولا يستثنى من ذلك السلاح النووي •

وتستعمل الاسلحة التقليدية للهجوم أو الدفاع حسب متطلبات الحرب ، أما السلاح النووي فهو ذو طابع هجومي من الاساس ، مما أفقده المرونة ، وافقد الدفاع قيمة كبيرة ، كما فقدت اجراءات الدفاع السلبي التي كانت تفيد عند استعمال القنابل الذرية ـ فقدت قيمتها مع اختراع القنابل النووية الحرارية ـ وعليه ، فقد سيطر السلاح النووي على أية استراتيجية بتصعيد المقدرة الهجومية ، وجعل الاسبقية للقدرة النووية الضاربة(١) •

أن الرغبة في الأمن الشخصي هي شيء مألوف لدى جميع الناس ، وهي مطلب اساسي للحياة سواء للافراد أو الجماعات والأمم •• ومنذ فجر التاريخ اكتشف الرجال انهم اذا كانوا في مجموعات ، فسيكونون اكثر أمنا ـ من حوادث الطبيعة ، والحيوانات البرية ، ومن بعضم البعض • وقد زادت احجام هذه المجموعات من العائلة الواحدة ، الى مجموعات من العائلات ، ثم العشيرة والقبيلة ، وكل تجمع يهيء أمنا أكبر من الفروع ، وهكذا شهد التاريخ تحالف أمة وأخرى ، أو عدة أمم في وجه عدو مشترك وخطر يهددها جميعاً • ونرى على الساحة الدولية الآن حلفي الأطلسي ووارسو وغيرهما من الاحلاف الأخرى ، انطلاقا من مبدأ التجمع للحصول على الأمن •

لقد فشل العرب ـ وخاصة دول المواجهة ـ في ايجاد واتباع استراتيجية موحدة فاعلة لمجابهة خطر اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ، عندما كان العدو مسلحا بالاسلحة التقليدية ، فما بالك والعدو الآن يملك اسنانا نووية ؟ ولا توجد دولة عربية في الوقت

الحاضر تملك اسلحة نووية أو برنامجا نوويا يؤدي في القريب العاجل الى القدر النووية العسكرية . لذلك فان على القادة العرب ان يتفهموا حقائق العصر النووي ويقدروا أخطار القدرة النووية الاسرائيلية ، وان يعدوا العدة لمجابهة الموقف ، لان التجمعات السكانية العربية القريبة والبعيدة على السواء ، والأهداف الاستراتيجية مثل حقول النفط في السعودية والعراق وليبيا ، وسد الفرات وسد اسوان ستكون أهدافا لضربات العدو النووية

وفي الوقت الذي تتعثر فيه جهود البرامج العلمية الخلاقة بما فيها النووية في العالم العربي ، تمضي اسرائيل قدما في تطوير برنامجها النووي العسكري ، وتعمل بشتى الوسائل لمنع تطوير برامج نووية عربية أو اسلامية ، وأن أولى حقائق القوة النووية لدى العدو ، تتطلب من العرب العمل فوراً وبشتى الوسائل لتصنيع السلاح النووي بأنفسهم ، ولن يصنعه لهم أحد ، وكذلك لن يبيعه أحد جاهزاً ، والى أن يحين وقت امتلاكهم للقدرة النووية ، عليهم العمل ببدائل ممكنة لحماية أمنهم وبلادهم وتراثهم وعقيدتهم .

ومنذ عام ١٩٧٣ تنبه العالم العربي الى هذه الحقائق ، وحاول العرب عن طريق الهيئات الدولية دفع اسرائيل للتوقيع على معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية ، وان تطبق على منشئاتها النووية وسائل الاشراف من قبل وكالة الطاقة النووية الدولية ، ولم ينجحوا في ذلك ، كما حاولوا الحصول على ضمانات نووية من الاتحاد السوفيتي ـ مصر وسوريا ـ ولم يحصل ذلك بشكل تعهد علني واضح . ثم بدأ التفكير في تطوير قدرات عربية بديلة منها امتلاك اسلحة تدمير شامل من نوع آخر كالاسلحة الجرثومية والكيماوية(٢) ـ يعتقد ان مصر وسوريا والعراق لديها الآن قدرات الحرب الكيماوية ـ أو الحصول على اعداد كبيرة من صواريخ أرض/أرض ذات حمولة كبيرة من المتفجرات التقليدية .

ماذا علينا أن نعمل

وضع رجال الاستراتيجية المعاصرون أربعة مبادىء تحدد أساليب استخدام الاسلحة النووية في الحرب هي(٣) :

١ ـ القيام بشن حرب وقائية لتدمير اسلحة العدو النووية .

٢ ـ اعتراض اسلحة العدو النووية وهي في طريقها الى أهدافها .

٣ ـ اتخاذ التدابير لمنع اضرار اسلحة العدو النووية ، أو تقليل آثارها الضارة على قدرات الطرف الذي يتلقى ضرب العدو ٠

٤ ـ التهديد بالانتقام أو ما يسمى بـ (الردع النووي) « أنظر الفصل السابع » ٠

ونظرة بسيطة على هذه المبادىء ، فانها تفترض وجود السلاح النووي لدى الطرفين المتنازعين ٠ أما الوضع الراهن بين العرب واسرائيل ففيه السلاح النووي بيد طرف واحد فقط ٠ وفي هذه الحالة يمكن للجانب الذي لا يملك سلاحا نوويا تطبيق المبدأ رقم (١) وذلك بشن حرب وقائية لتدمير أسلحة العدو النووية ، بواسطة الاسلحة التقليدية ، وسابحث ذلك في صفحات لاحقة من هذا الفصل ٠ ويمكن تطبيق المبدأ رقم (٣) اتخاذ التدابير لمنع اضرار اسلحة العدو النووية ٠٠٠ الخ ، بواسطة تدابير الدفاع السلبي ممثلة في خطط اخلاء التجمعات السكانية وتوزيعها على الارياف ، عمل الملاجىء وتدابير الحماية في أماكن التجمعات السكانية وخاصة في العواصم ، توعية السكان حول كيفية اتقاء اخطار السلاح النووي بأية وسيلة متاحة مهما كانت بسيطة ، ايجاد منظومات دفاع جوي حديثة محكمة عن العواصم وأماكن التجمعات السكانية تستطيع تدمير طائرات العدو في الجو قبل أن تلقي حمولتها،وأخيراً نشر وتوزيع القوات المسلحة مع قابلية حركة جيدة لتقليل خسائرها ٠

ولنعد الى استعراض التدابير التي عملت بها الأمم أخرى عندما واجهت موقفا مشابها لموقفنا مع العدو ، وأمامنا حالتان بارزتان ، فكانت الأولى مع الاتحاد السوفيتي والثانية مع الصين الشعبية ٠

حالة الاتحاد السوفيتي

كانت الولايات المتحدة تحتكر السلاح النووي من عام ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ ، واشتد الخلاف بين المعسكرين ، وصار احتمال توجيه ضربة نووية أمريكية الى روسيا واردا عند احتدام كل خلاف ، بل فكر بعض المسئولين الامريكيين بضرورة توجيه هذه الضربة والانتهاء من أمر المنافسة الجديدة وما تمثله الايدلوجية الشيوعية من خطر على الغرب والعالم في نظرهم ٠

وقدرت القيادة السوفيتية هذا الاحتمال حق قدره منذ البداية ، فوضعت الخطط لاخلاء التجمعات السكانية الكبرى مثل موسكو ولينينغراد وكييف ، وزادوا من قدرات قواتهم بحيث صارت تتفوق على قوات الدول الغربية من حيث تعداد الفرق والاستعداد

لخوض الحرب ، واجتياح دول أوروبا الغربية خلال بضعة أيام · فكان اتساع الأراضي الروسية والعمق الاستراتيجي ، وارادة القتال لدى الروس عاملين أديا بهم الى قبول التحدي ومواجهة حرب ذرية ، وضرب بعض مدنهم على غرار هيروشيما ونغازاكي ، وإطالة أمد الحرب وهم يسرعون الخطى للحصول على السلاح النووي(٤) ·

وخلال هيمنة الامريكيين على السلاح النووي كانت استراتيجية الاتحاد السوفيتي ترتكز على الأسس التالية :

١ ـ الاسراع في امتلاك السلاح النووي ·

٢ ـ الابقاء على التفوق في القوات العسكرية التقليدية والجاهزية القتالية ·

٣ ـ تعبئة واكتساب الرأي العام العالمي تحت شعار المحافظة على السلم العالمي ·

٤ ـ استيعاب أي هجوم اذا وقع ·· والقدرة على الهجوم المضاد بالقوات التقليدية ·

كان الرأي العام في الدول الغربية ضد قيام حرب جديدة ولمّا يضمدوا جراحهم بعد من الحرب العالمية الثانية ، ولاح أمامهم شبح ارتال الدبابات الروسية وهي تخترق أوروبا الغربية لتصل الى مدينة (بوردو) على الشاطىء الغربي في فرنسا ، واذا ضاعت أوروبا الغربية فما فائدة تدمير أربع أو خمس مدن رئيسية في الاتحاد السوفيتي بالسلاح النووي الامريكي ؟

حالة الصين الشعبية

في عام ١٩٥٨ ظهر نشاط صيني كبير للحاق بالركب النووي ، وبادر الاتحاد السوفيتي الى سحب معونتة وخبرائه · وكانت هذه البادرة هي الحافز الاكبر لتصميم القيادة الصينية على امتلاك السلاح النووي بالاعتماد على مصادرها وابنائها · وفي نهاية عام ١٩٦٤ قامت بأول تفجير نووي وطورت عدة وسائل لايصال المقذوف النووي الى الهدف ·

ومع حلول عام ١٩٦٨ كانت الخلافات العقائدية قد زادت حدتها بين الصين والاتحاد السوفيتي ، وصار صديق الامس عدوا ، كما حدث بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية · واعتبر الروس القدرة النووية الصينية

خطراً عليهم بالدرجة الأولى ، وبدأوا التفكير جديا في ضرب المنشئات النووية الصينية وايقاف القدرة النووية الصينية ، وقاموا بمفاتحة الولايات المتحدة بهذا الشأن لتكون الضربة مشتركة ، أو لضمان سكوت الولايات المتحدة التي لم توافق على ذلك ، وكان المنطق الروسي في مخاطبة الامريكيين يستند على القول التالي : ماذا يكون موقفكم لو تواجد في (الاسكا) عدو لكم بالكثرة العددية الصينية ويعمل على التسلح بالاسلحة النووية ؟

وبالمقابل كانت القيادة الصينية قد أعدت نفسها لمجابهة الخطر المحدق ، وهي تتمتع بالكثرة العددية الساحقة والعمق الاستراتيجي ، وكانت أهم ركيزة للردع هى وجود مائتي مليون مسلح صيني على شكل مليشيا تسنده الجيش النظامي الذي كان تعداده وقتئذ بين ٨ ـ ١٠ ملايين شخص ، ويمكن ان يزيد الى ضعفين أو ثلاثة ·

كانت المليشيا الصينية هي الشبح المرعب ، وكان تسليحهم جيداً وتنظيمهم كذلك ، وكان الواجب المعطى لهم بوضوح هو ان يجتاحوا أراضي الاتحاد السوفيتي وان لا يعتمدوا على ذيل اداري لامدادهم من بلدهم الأصلي ، بل عليهم أخذ كل شيء من البلاد التي يغزونها ·· وكان تعداد سكان الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت يتراوح بين ٢٠٠ ـ ٢٢٠ مليونا من البشر من جميع الأعمار أي مساويا لعدد القوة الغازية ·

الوضع العربي

أشارت الصحافة العالمية في بداية السبعينات الى ان وفدا من منظمة التحرير الفلسطينية كان في زيارة الصين ، وأثناء مقابلة الوفد لزعيمها ماوتسي تونغ وشرح القضية الفلسطينية له سألهم : كم عدد اليهود في فلسطين ؟ فقالوا حوالي ثلاثة ملايين ، فقال ماو : وفي أي فندق ينزلون ؟ وفي هذا اشارة واضحة الى مفهوم الكثرة العددية المقابلة وضرورة استثمارها · ويقال ان القائد الصيني اضاف قائلا : ادفعوا اليهم عشرة ملايين عربي وينتهي الأمر ·

ان الكثرة العددية الكاسحة في الجانب العربي ، وكذلك الاتساع والعمق الاستراتيجي ، يضاف اليها عناصر قوة اخرى مثل الطاقة والمال والموارد الطبيعية ، ودرجة استعداد العرب العالية لتحمل الخسائر والنكسات ، كما أثبتت ذلك الحروب السابقة

هذه الميزات وعناصر القوة تجعل من أي أمة قوة عظمى على مسرح العالم ، ولكنها لا تفيدنا في شيء اذا لم يتم استثمارها ضمن استراتيجية محددة واضحة المعالم ،

مع تحديد الهدف المطلوب • ولا يتصور أحد في هذه الظروف قيام استراتيجية تشمل جميع الدول العربية ، والحقيقة ان التهديد النووي يفرض عليها ذلك ، لان السلاح النووي سيطال عواصمها كما يطال العواصم القريبة ، وقد ظهرت تصورات منظرين عالميين ، تفيد عن احتمال استعمال اسرائيل لقنبلة نووية أولا ضد عاصمة عربية بعيدة لاتقاء أخطار القنبلة ، واعطاء انذار للعواصم القريبة •

ان الحد الأدنى المطلوب من استراتيجيات عربية يمكن ان يقع ضمن التصورات التالية :

أ ـ استراتيجية لدول المواجهة (شاملة مصر) وتنسيق مع استراتيجية دول مجلس التعاون الخليجي •

ب ـ استراتيجية لاي عدد من الدول العربية ترغب الانضمام اليها •

ج ـ قيام وحدة سياسية وعسكرية لاي عدد من الدول يرغب في ذلك •

د ـ قيام وحدة عسكرية •

هـ ـ انشاء قيادة عربية موحدة •

ان العمل بأي من التصورات الآنفة الذكر ومعرفة (العدو) بحقيقة ذلك ومصداقيته ، يشكل في حد ذاته ردعا ايجابيا ، وهو استراتيجية فرض العقاب على العدو كي لا يقوم بعملية ما غير مرغوبة ، ويمكن ان يتوقف العدو عن نشاطاته لكي يحمي نفسه من تلقي عقاب آخر(٥) •

ويأتي كهدف ذي اسبقية هامة تصنيع وامتلاك الاسلحة الكيماوية ، وهي اسلحة تدمير شامل ، وكذلك تأمين وسائل أيصال هذه الاسلحة الى الأهداف المرغوبة في الأرض التي يحتلها العدو • ويذكر هنا قدرات مصر وسوريا والعراق في هذا المجال ، واحتمال اضافة السعودية الى القائمة •

بعد الاتفاق على أستراتيجية عربية من أي تصور معين ، ينبغي تجهيز قوات عربية تقليدية تتفوق عدة مرات على ما يستطيع العدو حشده ، وان يكون هدف هذه القوات النهائي الاختراق الى داخل أراضي فلسطين المحتلة ومواصلة القتال حتى النهاية • واذا افترضنا ان العدو توصل الى صنع قنابل نووية صغيرة لاستعمالها ضد القوات

العسكرية في الميدان فلن يكون لهذه القنابل نفس تأثير ضرب المدن والتجمعات السكانية العربية ، وسيكون من الصعب على العدو استعمال سلاحه النووي ضد القوات العربية العاملة داخل فلسطين ، يضاف الى ذلك ان تحديث القوات العربية وتوفير قابلية حركة سريعة لها سيجعلها قادرة على الانتشار والتحشد السريعين حيثما يتطلب الموقف مما يزيد من حمايتها ضد الاخطار النووية ، ويجعلها قادرة على سرعة اجتياح مناطق تقربها من التجمعات السكانية اليهودية • لقد تأكدت فائدة التفوق العددي المنظم والمجهز في حالتي الاتحاد السوفيتي والصين مقابل عدو يملك سلاحاً نوويا ، فلماذا لا يستغله العرب ؟

والبديل الثاني هو امتلاك اسلحة كيماوية عربية ووسائل ايصالها الى الأهداف ، وهي سلاح تدمير شامل ، يقارب السلاح النووي من حيث التأثير المادي والمعنوي على التجمعات السكانية والقوات العسكرية ، وتقذف من الجو أو بواسطة المدفعية للأهداف الواقعة ضمن المدى ، أو بواسطة رؤوس تحملها صواريخ أرض/أرض دقيقة التوجيه •

أما البديل الثالث فهو التسلح باعداد كبيرة من صواريخ أرض/أرض ذات حمولة كبيرة من المتفجرات التقليدية ، وتوجد الآن في الترسانة الدولية صواريخ موجهة ذات دقة عالية • هذه الصواريخ ذات قوة تدميرية كبيرة ضد التجمعات السكانية اذا استعملت بكثافة على حين غرة • أما اذا توقع العدو استعمالها أو كان هو البادىء في القتال ، فانه سيقوم بانذار السكان بضرورة الاحتماء في الملاجىء حماية لارواح البشر ، ويبقى احتمال تدمير كبير في المباني قائما • ولا تشكل هذه الصواريخ وحدها عادة رادعا في وجه خصم يملك السلاح النووي •

الضربة الوقائية

لا بد وان يفكر القادة الكبار من سياسين وعسكريين في توجيه ضربة عربية مسبقة ضد السلاح النووي الاسرائيلي والتخلص من اخطاره ، ويتم تنفيذ ذلك بواسطة القوة الجوية ، واستخدام الاسلحة الكيماوية من الجو أو بواسطة الصواريخ الموجهة ، واستخدام القوات الخاصة ، وعناصر المقاومة المحلية في وقت لاحق • ولتكون الضربة الوقائية ناجحة فانها تتطلب تأمين ما يلي(٦) :

١ ــ معلومات استخبارية دقيقة عن القواعد الجوية المعادية وقواعد صواريخ أرض/أرض المعدة لحمل الرؤوس النووية • اذ يجب تزويد المهاجم العربي بمعلومات

كاملة عن مواقع أجهزة اطلاق الاسلحة النووية بالضبط ، وعن طبيعة الأرض حولها ، ونوع الحراسة القائمة ـ اذا توجهت اليها قوات صاعقةفيما بعد، وعن وسائل الدفاع التي تتخذها الطواقم التي تشغل القوات النووية ٠

٢ ـ أن تحقق الهجمات الجوية اصابات دقيقة كاملة لجميع أجهزة الاطلاق النووية المعادية بدون استثناء ، عن طريق ضربة أولى مفاجئة ، تتبعها موجات متتالية من الجهد الجوي على نفس الأهداف ٠ اما اذا تركت الهجمات الجوية وراءها عددا من أجهزة اطلاق الاسلحة النووية المعادية بدون تدمير ، فسيبقى لدى العدو قدرة انتقام نووية ، ولتقليل آثارها يجب ان تكون أماكن التجمعات السكانية العربية قد جرى تفريغها سلفا ٠

٣ ـ وضع خطة محكمة في أعلى درجات المكتومية لضمان المفاجأة الكاملة ، وخاصة المفاجأة في توقيت بدء العملية ، وتلاحق الهجمات بصورة متكاملة ، حيث انه من الضروري تدمير جميع عناصر القدرة النووية الاسرائيلية في آن واحد ، والا تعرض المهاجم للرد النووي من العدو ، وللتغلب على هذه الامكانية يجب ان تنفذ الضربة الجوية على نطاق واسع ضد كافة أجهزة الاطلاق النووية في اسرائيل، وادامة ضربها ومشاغلتها حسب التسلسل التالي :

أ ـ الجهد الجوي لتوجيه ضربة أولى عنيفة ٠

ب ـ جهد جوي متتابع على نفس الأهداف بدون فواصل زمنية ملموسة ٠

جـ ـ استخدام قوات خاصة أو عناصر المقاومة تتسلل بطائرات الهليكوبتر ، أو سيراً على الاقدام وبأية وسيلة ممكنة لتديم مشاغله وارباك قواعد العدو الجوية وقواعد صواريخ أرض/أرض ٠

ويمكن استعمال الاسلحة الكيماوية بواسطة القوات الجوية العربية في الضربة الأولى ، ولكن ذلك سيحدد عمل القوات الخاصة المحتمل استعمالها ، وسيتوقف ذلك على مدى التدمير الذي تحققه الضربة الجوية ، كما يمكن ان تستعمل الاسلحة الكيماوية من قبل القوات الخاصة في حال انقضاضها على مواقع اطلاق الاسلحة النووية ٠

لا شك ان هناك صعوبة في التنسيق لجهد جوي كبير تشترك فيه عدد من الدول العربية ، ويتطلب اجراءات أمن وقائي كبيرة لانشاء قيادة جوية موحدة ، وربما تكون

قسماً من قيادة عربية موحدة · وان تدابير الكتمان والمخادعة والعمل بهدوء وعقلانية في كافة المراحل ، وعدم اطلاع سوى النفر القليل على النوايا والأهداف المستقبلية سيكون لها الأثر الواضح في تضليل مخابرات العدو ، وربما تضليل قوى أخرى تسانده ، كما حدث في الاستعدادات التي سبقت حرب رمضان ـ اكتوبر ١٩٧٣ · وسيكون تحقيق المفاجأة كبيراً في حال تنفيذ الضربة الوقائية بالقوات الجوية وصواريخ أرض/أرض من قبل دولة عربية واحدة ·

ولا بد من التذكير ان على العرب لضمان بقائهم عدم السماح لاسرائيل باحتكار القوة النووية وحدها ، وعليهم صنع السلاح النووي باظافرهم ، ولا يفل الحديد الا الحديد · وهنا سؤال يطرح نفسه وهو : كيف ترضى الدول العربية التوقيع على معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية ، وليست لديها قدرات نووية عسكرية ؟ بينما ترفض اسرائيل ذلك وهي تملك قدرات نووية عسكرية متقدمة منذ عقدين من الزمان ؟ وهي دولة غازية من خارج المنطقة ، وتعتمد في علاقاتها مع العرب على استعمال القوة في كل صغيرة وكبيرة ، وهدفها التوسع وابتلاع المزيد من الأرض العربية · وكانت تتفوق بنوعية الاسلحة التقليدية التي تمدها بها امريكا في كل صدام مع العرب ، فكيف ستتصرف في المستقبل وهي تزيد تفوقها بسلاح تدمير شامل ؟ أي السلاح النووي ·

ان التوقيع على أية معاهدة دولية بخصوص التسلح يتم على اساس توازن القوى بين الدول ، وما نشاهده على الساحة الدولية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة للسيطرة على سباق التسلح يقوم على اساس التوازن ، ولا يكون على اساس تفوق طرف على آخر بسلاح معين حاسم · لذلك فان على الدول العربية ان تعمل بجدية للحصول على الخيار النووي لابطال فعالية التفوق الاسرائيلي في هذا المجال ، ولا يمنع توقيع الدول العربية على معاهدة منع التجارب النووية من تحقيق ذلك ، لان الدول التي تصمم على امتلاك السلاح النووي تعمل عادة بمنتهى الكتمان ولا تعترف بذلك مطلقاً ، بل تمضي قدماً حتى تصل الى درجة حيازة هذه الاسلحة ، وتستمر في عدم الكشف عن ذلك حتى تحين الفرصة المناسبة ، وقد تنشر وسائل الاعـلام العالمية ووكالات المخابرات الاجنبية تكهنات كثيرة عن نشاط دولة ما في هذا الميدان ، ولكن القادة المسئولين في تلك الدولة يفضون بتصريحات محدودة واجوبة مقتضبة عن كل تساؤل بحجة ان ما يجري هو لمجرد الاغراض السلمية ونواحي التقدم العلمي ·

قد تعمد اسرائيل فجأة الى قبول التوقيع على معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية عندما يكون مخزونها من السلاح النووي قد بلغ الحد المقرر له ، وبذلك تقنع العرب ان لا حاجة لهم لصنع السلاح النووي ، وتكسب كثيراً لدى الرأي العام العالمي ، بينما تخفي قدراتها النووية الجاهزة • ولكن على العرب ان يتدبروا هذا الأمر جيداً في حينه ، وان الاعتماد على ضمانات خارجية لن يفيد شيئاً عندما تقع الواقعة ، والبلد الذي يمارس سياسة دفاعية بحتة ، يجعل من نفسه عرضة للهجوم المفاجىء من قبل الخصم ، كما انه لا يستطيع القيام بأي رد فعل الا بعد أن يكون قد تلقى الصدمة الأولى التي يحتمل ان تكون قاضية •

الهوامش

١ ــ كتابي : الاستراتيجية النووية ، عمان ١٩٨٢ ، صفحة ٢٣ ، وكتاب :

Nuclear War, Ground Zero Fund, Inc, 1982 Page, 77, 157.

٢ ــ الخيار النووي ، شاي فيلدمان ، ترجمة غازي السعدي ، دار الجليل للنشر ، عمان ١٩٨٤ ، صفحة ٧٥ .

٣ ــ نفس المصدر في التسلسل (١) ، صفحة ٢٩ .

٤ ــ نفس المصدر في التسلسل (١) ، صفحة ٢٤ ــ ٢٥ .

٥ ــ نفس المصدر في التسلسل (٢) ، صفحة ٣٣ .

٦ ــ أ ــ كتابي ، التحدي النووي في الشرق الأوسط ، ١٩٧٨ ، صفحة ٦٣ ــ ٦٥ .

ب ــ نفس المصدر في التسلسل (٢) ، صفحة ٧١ ــ ٧٣ .

الفصل السابع

توازن الرعب النووي

ان احتمال توصل العرب الى القوة النووية وارد في تفكير القيادة الاسرائيلية ، ويفيد الاسرائيليون المهتمون بهذه الناحية ان ذلك سيطرح نفسه في المستقبل ، وليس متوقفا على اسرائيل ومقاصدها ، ولكن بمقدور اسرائيل تأخير بعض الدول العربية عن الوصول الى القدرة النووية على المدى القصير ، الا انها لن تستطيع وقف مثل هذه التطورات على المدى الطويل • ويقول بعض المفكرين الاسرائيليين : ان أفضل استراتيجية لاسرائيل هي ترك الدول العربية تحصل على السلاح النووي ، وعندئذ تعلن اسرائيل عن قوتها النووية ، وهكذا تخلق توازن الرعب في المنطقة ، وهذا سينهي ــ ولو جزئيا على أقل تقدير ــ سباق التسلح التقليدي الباهظ التكاليف ، وان احتكار اسرائيل للقوة النووية سيجعلها في وضع تتمكن فيه من تحديد قواتها التقليدية ، بطريقة لا تضر بقدرتها على خوض حرب تقليدية على جبهة واحدة على الأقل ، بينما تبطل فعالية جبهة أخرى بالتهديد المعلن لاستخدام السلاح النووي ضد تلك الجبهة اذا تحركت • ويضيف هؤلاء المفكرون ان التذكر بأن شبة جزيرة سيناء كلها تقريبا منزوعة السلاح ، مما يجعل في مقدور اسرائيل التهديد باستعمال سلاحها النووي في أرض خالية من السكان المدنيين ، اذا عادت القوات المصرية الى وضع الهجوم وفتح جبهة رئيسية من هناك[١] •

عرف الماريشال فوش القائد العام لقوات الحلفاء في الحرب العالمية الأولى الحرب بأنها : « صراع بين ارادتين » ارادة هذا القائد وخصمه المقابل • اما الجنرال اندريه بوفير المنظر الاستراتيجي الفرنسي المعاصر فقد قدم تعريفاً للاستراتيجية بهذا المعنى حين قال : « انها فن الجدل بين ارادتين متعارضتين تستعملان القوة لحل الخلاف » • وفي هذا الاصطدام بين الارادتين ، « يتم التوصل الى قرار حين يفرض على العدو تأثير نفسي معين ، حين يقتنع ان لا فائدة من بدء الصراع أو بدل ذلك ، من الاستمرار فيه »[٢] •

فاذا توصلت دولة عربية واحدة أو اكثر الى امتلاك السلاح النووي ووسائل ايصاله الى الهدف ، فسيؤدي ذلك الى ايجاد رادع نووي في وجه القوة النووية الاسرائيلية ، ومعطيات جديدة لاستراتيجيات الصراع ، وقد ينشأ موقف توازن الرعب النووي كما هو حاصل الآن بين الدولتين العظميين • ومنذ مطلع فجر العصر النووي

اتبعت الولايات المتحدة استراتيجية اساسية لحماية نفسها من الهجوم ـ وهذه الاستراتيجية هي الوعد بانتقام مدمر بالاسلحة النووية ، ويسمى أسلوب حماية الأمن الذاتي ردع الهجوم بواسطة التخويف ، أو بكل بساطة (نظرية الردع)(٣) ٠

ان مفهوم الردع هو تثبيط الهمة والاعاقة عن طريق الخوف ، ولكي يصل الموقف بين خصمين الى (توازن الرعب) فيجب ان يتوفر لكل منهما اذا تلقى ضربة نووية مفاجئة ـ قدرة الرد بضربة مماثلة تفوق الضربة التي تلقاها في أحداث التدمير على الخصم ٠ وردع الخصم عن اللجوء للقوة ليس ابتكار جديدا في تاريخ العلاقات بين الشعوب ، فمنذ الازل والمعتدي يقدر مدى المحازفة التي سيقدم عليها ، ثم يوازن بينها وبين المغانم التي سيحصل عليها نتيجة لعدوانه ، اذ لا يكفي ان تكون نتيجة القتال لصالحه ، وانما يجب ان تتناسب الخسائر التي سيتكبدها مع الرصيد والمغانم التي سيحصل عليها ٠ ويقول الجنرال الفرنسي بيير غالوا : « ان الكشف عن القدرة النووية يعتبر شرطا مسبقا لردع ناجح » ويضيف : « ان من الضروري ان يتلقى كل طرف معلومات كاملة عن قوة الطرف الآخر » ٠

يجب ان يحقق أسلوب الردع اقتناع الطرف الآخر من القوة التدميرية للأسلوب المتبع ، عن طريق معرفته بقدراتها على اختراق جميع وسائله الدفاعية ، وان تكون ذات قدرة كافية تتفوق على ما يتوفر للطرف الآخر ، ولتكون استراتيجية الردع ناجحة تضمن رجحان كفة الانتصار لطرف على آخر ، فان أهمية العنصرين التاليين تبرز بشكل واضح(٤) :

١ ـ القدرة النسبية على كسب الثمن ، بحيث يكون حجم العقاب المراد انزاله على الخصم كبيرا ، وهذا يجعل قوة ردعه اكبر ٠ وتعتمد القدرة على كسب الثمن على نوع السلاح وقدرته التدميرية ، وتعدد وسائل الاطلاق ومدى حمايتها ، ودرجة التأهب والمصداقية لتدمير الأهداف الحيوية ومصادر العدو ٠

٢ ـ مدى الاستعداد النسبي لامتصاص العقاب ، لكل طرف في النزاع قدرة معينة على انزال العقاب والتهديد بالانتقام ، وعليه ان يتوقع مقابل ذلك عملية انتقام مضادة ٠ والجانب الذي يتمتع باستعداد اكبر لامتصاص العقاب تكون له مزية البقاء وادامة أمد المجابهة فترة اطول لا يستطيع الجانب الآخر تحملها ٠ وهذا الاستعداد ينبع من جذور خصائص الأمة وتاريخها والانتماء الوطني والقومي ، وتوفر القيادات الجريئة القادرة على الصمود وسط ضباب الكوارث ٠

ويشير الباحث الاسرائيلي شاي فيلدمان الى هذه الناحية فيقول : « ان درجة العرب العالية لامتصاص العقاب ، قد تتغلب على التهديدات النووية الاسرائيلية اذا امتلكت اسرائيل والدول العربية معاً اسلحة نووية ، وتمتعت اسرائيل بقدرة انزال عقاب لا يمكن تحمله ، عندئذ سيؤدي استعداد العرب العالي لامتصاص الضربة النووية ، من أجل استرجاع المناطق التي احتلتها اسرائيل في حرب الأيام الستة ، الى ترجيح ميزان الردع لصالح العرب ، اذ أن هذه الدول ستكون على استعداد للمغامرة باخطار جسيمة ، طالما ظل الأمر مقتصراً على موضوع هذه المناطق فلن تستطيع اسرائيل ابداء استعداد مماثل لاستعداد الدول العربية »(٥) ٠

الاصداء المحلية والدولية

ان تحول الشرق الأوسط الى منطقة نووية سيكون له مخاطر واصداء على الصعيدين المحلي والدولي ، ويختلف الموقف تماما عن الوضع السائد بين القوتين العظميين ، ويقول يئير عفرون المحاضر والباحث في الشئون الاستراتيجية في الجامعة العبرية : « ان التوازن بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة قائم على قدرة كل منهما على توجيه ضربة نووية ثانية اذا ما تعرض لضربة نووية أولى من قبل الخصم ٠ ويتم تعزيز ذلك التوازن من خلال اتفاقات مشتركة تبعد خطر انهياره ٠ واذا حدث توازن كهذا في منطقة الشرق الأوسط ، فانه يؤمن لاسرائيل حالة من الاستقرار وانعدام الحرب ، ولكن هناك فارق شاسع بين الحالتين ، اذ ان الدولتين العظميين لم تصلا الى الاستقرار الراهن الا بعد أعوام طويلة من دراسة الاسلحة النووية وتطويرها ،بما في ذلك الوسائل الكفيلة بعدم استخدامها ٠ وستكون هناك في منطقة الشرق الاوسط عدة أعوام من الخوف والتوتر ، في حال ادخال الاسلحة النووية الى المنطقة ، قبل ان يتبنى الجانبان اساليب تصرف يمليها وجود الاسلحة النووية ٠ واذا لم يحدث ذلك ، فسيكون هناك احتمال كبير بأن تتطور ازمة ما الى حرب نووية ، ومما يزيد في تعقيد الوضع ، تعدد الاطراف العربية الداخلة في الصراع ، وامكان ان يشعل طرف ثالث الحرب ، ولكن ، يضيف عفرون : « يمكن حل هذه المشكلة بان تنذر اسرائيل مسبقا بان أي ضرر نووي تتعرض له سيؤدي الى انتقام نووي من جميع الدول العربية ، ولكن ذلك يخلق أيضا مشكلات صعبة ومعقدة جداً ، اذ انه سوف يحوّل طبعا الدول العربية غير النووية الى «رهائن» تحت رحمة الدول النووية العربية »(٦) ٠

والتعليق على ما ورد آنفا من قول عفرون حولقيام اسرائيل بانتقام نووي من جميع الدول العربية هو : ليس بمقدور اسرائيل تحقيق ذلك اذا كان المعسكر العربي مشتركا

في استراتيجية نووية موحدة ، حيث انه من غير المعقول أن يركز العرب قدراتهم النووية من اسلحة ووسائل ايصالها في منطقة معينة أو بلد واحد .

وفي حال امتلاك العرب للسلاح النووي فسيكون قرار استعماله بايديهم ، وهذا يخلق رادعا وسلاحا معادلا للسلاح النووي الاسرائيلي ، وتبقى في جانب العرب ميزات كبرى من حيث القدرة على خوض حروب محدودة ، وأنواع مختلفة من حروب الاستنزاف، وحروب المقاومة ، ولدى اسرائيل حاليا تفوق بالاسلحة التقليدية ، وتحاول الاستمرار في ذلك لفترة طويلة عن طريق الدعم الامريكي ، ويمكن ان نتصور حدوث تفوق عربي بالاسلحه التقليدية ، في حال قيام تجمع عربي لدولتين أو اكثر من دول المواجهة ، أو الاتفاق على استراتيجية عربية موحدة ، أو الاتفاق العملي على تنفيذ ميثاق الضمان الجماعي . وفي موقف كهذا لن يكون السلاح النووي الاسرائيلي ضامنا لحل مشكلاتها الأمنية ، ومن الواضح بالاضافة الى ذلك ، ان وجود السلاح النووي لدى الطرفين لن يؤدي بالضرورة الى استقرار العلاقات بينهما عن طريق توازن الرعب ، ويبقى خطر انفجار حرب نووية قائما في ظروف الوضع القائم في الشرق الأوسط ــ دون ان يريدها الاطراف حقيقة(٧) .

ان احتشاد سكان اسرائيل في رقعة صغيرة يشكل فائدة للعرب في حالة القرار على استعمال السلاح النووي ، حيث يتم اختيار الأهداف الحيوية الموزعة استراتيجيا لضمان تدمير السلاح النووي الاسرائيلي ووسائل ايصاله الى الهدف ، بعدد قليل من القنابل النووية ، وتكون الاصابات بين السكان مدمرة ، ويبقى المحذور المؤلم في مثل هذه العملية هو وجود عدد كبير من السكان العرب في فلسطين منهم حوالي ٦٠٠ ألف نسمة في القسم المحتل عام ١٩٤٨ ، وحوالي مليون ومائتي ألف نسمة في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ . وهؤلاء السكان العرب موزعون في قطاع غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية ومنطقة الجليل ، وهم رهائن بيد اسرائيل .

ان تلك المناطق ذات قيمة استراتيجية لاسرائيل حيث يمكن توزيع ونشر مواقع القذف مثل المنصات المتحركة للصواريخ ومخابيء وصوامع الاسلحة تحت الأرض ، أو ايجاد مطارات لطائرات حمل الاسلحة النووية(٨) ، مما يجعل أي مُخطط عربي يتصور امكانية توجيه ضربة نووية الى اسرائيل تحطم قدرتها على ضربة مضادة ــ تجعله حائرا في أمر تدمير وسائل القذف تلك ، وايقاع اصابات مخيفة بين السكان العرب حولها ، أو الابقاء عليها وقبول رد نووي منها بعد توجيه ضربات مدمرة لمناطق التجمعات السكانية اليهودية في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ .

ويقول الاستاذ شلومو اهرونسون من الجامعة العبرية : « ان هناك تخوفا من تغيير علاقات القوى العددية بين الجيش الاسرائيلي والجيوش العربية ، خلال عشرة أعوام » ، قال ذلك في أواخر السبعينات « في غير مصلحة اسرائيل ، كما ان هناك تخوفا من تحول الجيوش العربية نحو السلاح الغربي ، واخضاع الالتزام الغربي أو تحييده • وفي المقابل ، فان استعداد الجمهور الاسرائيلي لدفع ثمن الحروب لا يتزايد • ومن ثم انتقل أهرونسون الى الحديث عن سلبيات حصول اسرائيل على السلاح النووي فقال : « اذا امتلكت اسرائيل سلاحا كهذا ، فسيمتلكه العرب بسرعة أيضا • واسرائيل باكملها هدف صغير ، واكثرية سكانها متجمعة في مناطق معرضة للاصابة ، بينما العالم العربي يمتد من طرابلس في ليبيا الى طرابلس في سوريا — والحقيقة ان العالم العربي ممتد اكثر مما يقوله أهرونسون ، أي من المحيط الى الخليج — والاكثرية العظمى من سكانه قروية وموزعة على مساحات شاسعة » •

« وبما ان اسرائيل لا تستطيع تهديد كل هذه المساحة بصورة فعالة ، فليس ثمة سبب يحول دون تحرش الدول العربية بها ، بعد دخول السلاح النووي الى المنطقة وسيشن العرب عليها سلسلة حروب تقليدية ، لاستنزاف دمها ، وزعزعة اقتصادها ، دون خشية انتقام نووي اسرائيلي لا يطيقون احتماله ، لانه اذا تجرأت اسرائيل حقاً على الانتقام منهم بقنابل نووية ، فستكون ابادتها مضمونة ، دون ان يتضرر العالم العربي بالمقدار نفسه ، ولن تستخدم اسرائيل ، عمليا ، خيارها النووي لهذا السبب ، وستردع نفسها بنفسها »[٩] •

اما شاي فيلدمان فيقول : « ان دخول السلاح النووي الى الشرق الأوسط سيحدد الطرفين في استخدام قدرتهما التقليدية ، وسيزداد تعرض اسرائيل للارهاب عدة اضعاف ، ولن تستطيع ضرب قواعد الارهاب في عمق الأراضي التابعة للدول العربية المجاورة ، وسيكون ذلك خطيراً في منطقة نووية • والنتيجة ان ادخال السلاح النووي الى المنطقة قد يوفر لرجال العصابات الملجأ الضروري لادارة حرب تحرير وطنية ، وبالفعل قد يؤدي الخوف من امكانية تصعيد الموقف الى جعل الدخول الى عمق أراضي العدو غير ممكنة »[١٠] •

« ان عمليات ارهابية تنفذ من المدن الاسرائيلية ، ومن مدن الضفة الغربية وقطاع غزة ، التي تعبر عن عدم رضا سكان الضفة والقطاع من استمرار الاحتلال الاسرائيلي ، لن تتأثر من امتلاك اسرائيل للاسلحة النووية »[١١] •

ولا ينسى فيلدمان ان ينوه بالاخطار الجسيمة التي ستتعرض لها اسرائيل في حال حصول رجال المقاومة الفلسطينية على اسلحة نووية ، واستخدامها أو التهديد باستخدامها ضد اسرائيل ، ويقول : ان هذا الخطر والطبيعة المعقدة للمشكلة يلزمنا بايلائه قدراً عظيما من الانتباه بشكل يفوق ما أوليناه للاخطار الأخرى المرتبطة بانتشار الاسلحة النووية في الشرق الأوسط · وهناك اتفاق شامل بين الباحثين بالنسبة للنتائج الخطيرة المترتبة على تفجير منشأة نووية من قبل رجال ارهابين أو رجال المقاومة ، وتعتقد « روبرتا ووتستتر » بأن تفجير منشأة نووية بقوة (١ر٠) واحد على عشرة كيلو طن ، سيقتل ٣٧٠٠٠ر٣٧ ألف شخص في القاهرة ، وحوالي ٩٠٠٠ر٩ شخص في تل ابيب ، لذلك فان حادثة واحدة من هذا النوع ، قد تؤدي الى الحاق خسائر جسيمة في الأرواح تفوق كثيرا عدد الخسائر التي تكبدتها اسرائيل في حرب تشرين ، كما يتفق الباحثون فيما بينهم بان الارهاب النووي قابل للتنفيذ من الناحية الفنية ·

ويمكن الحصول على القدرة النووية عن طريق السرقة ، أو التزويد من دولة نووية تؤيدهم ، أو ان تتمكن تلك المجموعات من تطوير اسلحة نووية بنفسها(١٢) ·

هذه النماذج من آراء الباحثين الاسرائيليين تؤيد الميزات التي ستبقى بصورة دائمة في الجانب العربي في حال امتلاك الطرفين للسلاح النووي · وان ادامة استغلال هذه الميزات ضمن استراتيجية محددة يتم تنفيذها بدقة وبنفس طويل ، تجعل بقاء العدو في المنطقة غير مريح ، كما انه سيفقد الهيمنة التي يتوخاها دائماً من الحصول على التفوق في التسليح ·

ومن ناحية أخرى ، فان الاستراتيجية النووية العربية تتطلب تأمين ما يلي :

١ ـ اتخاذ القرارات السريعة

وتبدو احتمالات وصول الجانب العربي الى هذا الوضع غير قوية ، وقد تطلب كل دولة عربية حق استعمال الفيتو ضد قرار استخدام الاسلحة النووية · ولكن ليس من الصعب التغلب على هذه المعضلة ، وكلما كان عدد الدول العربية الداخلة ضمن استراتيجية نووية موحدة قليلا كلما كانت عملية الاتفاق والقرار اسهل ·

٢ ـ تأمين القيادة والسيطرة

ان طبيعة المشاركة في استراتيجية نووية معناها المشاركة السياسية في القرارات ، وتدابير توزيع الاسلحة ووسائل قذفها في أراضي الدول المشتركة ، وترتيبات المراقبة

والاشراف والقيادة المناسبة ، كما هو حاصل في دول حلفي الأطلسي ووارسو · وان وجود أي انقسام أو نشوء خلافات سياسية ، ستخلق مصاعب في وجه امكانية خلق مشاركة وتعاون نووي (١٣) ·

يجب ان يحقق أسلوب الردع اقتناع الطرف الآخر بالقدرة التدميرية للأسلوب المتبع ، عن طريق معرفته بقدرتها على اختراق جميع وسائله الدفاعية ، وان تكون ذات قدرة كافية تتفوق على ما يتوفر للطرف الآخر · ويخشى بعض الباحثين الاسرائيليين من صعوبة قدرة اسرائيل على خلق توازن بينها وبين الدول العربية مجتمعة ، وهذا شيء طبيعي بالنظر لقدرات الدول العربية ، حتى لو انضمت بعض الدول العربية الكبيرة فقط في استراتيجية نووية موحدة مما يخلق الشك في احتمال بقاء قدرة الرد لدى اسرائيل بعد الضربة الأولى ·

وفي شرق أوسط نووي ، ستبرز أخطار ومعاضل كثيرة منها(١٤) :

١ ـ مشكلة السيطرة على عملية التصعيد اذا نشبت حرب اقليمية تشترك فيها عدة دول نووية ·

٢ ـ صعوبة اجراء حسابات سياسية / عسكرية ، وسيبقى الغموض حول مصدر الهجوم المحتمل قائماً ·

٣ ـ احتمالات تطور أي حرب محدودة بالاسلحة التقليدية لتصبح حربا شاملة مع استخدام الاسلحة النووية بصورة مفاجئة ·

٤ ـ الصعوبات التي تجابه اقامة نظام اشراف فعال على السلاح النووي ·

٥ ـ سهولة اصابة وتدمير منظومات القيادة والسيطرة · وستكون هذه المنظومات اكثر عرضة للتدمير في اسرائيل بالنظر لصغر المساحة ·

٦ ـ قد يشجع انتشار الاسلحة في الشرق الأوسط جماعات مختلفة من معارضة وغير راضية للقيام بعمليات مقاومة سرية تحت الأرض أو حروب العصابات وأية اشكال من المقاومة المنظمة باسم التحرير ·

أما الاصداء على الساحة الدولية نتيجة المضاعفات السياسية التي قد يحدثها تحول الشرق الأوسط الى منطقة نووية ، فان الأمر جله يرتبط باستراتيجية الدولتين العظميين، ولا يمكن تحديد ذلك في الوقت الحاضر ، ولكن يمكن تصور ثلاث احتمالات نظرية أمامهما(١٥) .

أولا : قد تفضل الدولتان الخروج من المنطقة كلياً ، خوفاً من مواجهة شاملة تستخدم فيها الاطراف المتنازعة الاسلحة النووية ٠

ثانياً : قد تخرجان مـن المنطقة ، ولكنهما تكونان مستعدتين لمد يـد العون المالي والعسكري الى حلفائهما ٠

ثانياً : قد تخرجان من المنطقـة ، ولكنهما تكونان مستعدتين لمد يد العـون المـالي على تجريد نفسها من الاسلحة النووية ، والقبول باملاء شروط ، اميريكية ـ سوفيتية مشتركة ٠

ويشكل الاحتمال الأول معضلة خطيرة بالنسبة لاسرائيل ، خشية توقف المساعدات الامريكية ، حيث يشجع هذا الموقف المطالبين في امريكا بخفض التورط مع اسرائيل وكذلك خفض المساعدات ، وتفقد اسرائيل عناصر الدعم الامريكي في شتى المجالات ، وتظهر ضئيلة بحجمها الحقيقي ، أمام القدرات وعناصر القوة العربية ٠

الهوامش

١ ـ The Hidden Debate : The Formation of Nuclear Doctrine in The Middle Eeast - Uri Bar - Joseph, Journal of Straegic Studies, Vol. 5, June 1982, pp, 224, 225.

٢ ـ Introdcution To Strategy, Beaufre, London 1965 pp. 22, 23

٣ ـ Nuclear War, Ground Zero Fund Inc. 1982, Page 163.

٤ ـ الخيار النووي ، شاي فيلدمان ، ترجمة غازي السعدي ، دا رالجليل للنشر ، عمان ١٩٨٤ ، صفحة ٣٧ ٠

٥ ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ١٢٢ ٠

٦ ـ الاداة العسكرية الاسرائيلية ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٩ ، رياض الاشقر ، صفحة ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ٠

٧ ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ٢٣٦ ٠

٨ ـ الاسلحة النووية واستراتيجية اسرائيل ، فؤاد جابر ، ترجمة زهدي جار الله ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٧١ ، صفحة ١٧٠ ـ ١٧١ ٠

٩ ـ نفس المصدر في التسلسل (٦) ، صفحة ٢٣٧ ٠

١٠ـ نفس المصدر في التسلسل «٤) ، صفحة ١٤٥ ٠

١١ـ نفس المصدر في التسلسل (٤) ، صفحة ١٤٨ ٠

١٢ـ نفس المصدر في التسلسل (٤) ، صفحة ١٨٢ ٠

١٣ـ نفس المصدر في التسلسل (٤) ، صفحة ١٦٨ ـ ١٦٩ ٠

١٤ـ نفس المصدر في التسلسل (٤) ، صفحة ١٥٧ ٠

١٥ـ نفس المصدر في التسلسل (٦) ، صفحة ٢٣٦ ٠

موافقة دائرة المطبوعات والنشر

رقم الاجازة المتسلسل ١٣١/٥/١٩٨٧

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

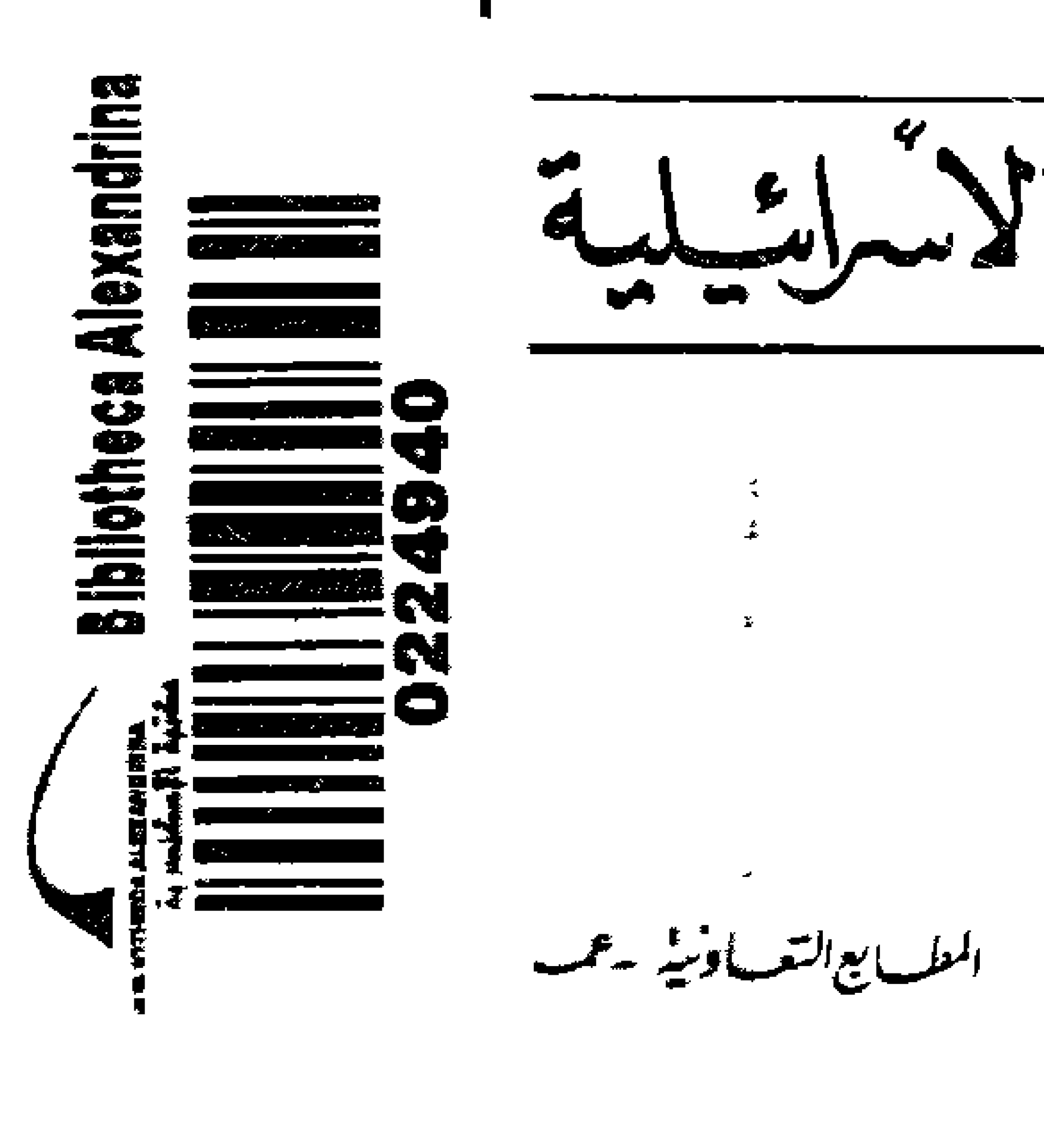
٢٠٠/٥/١٩٨٧

انتهی الکتاب بحمد الله تعالی



كتب للمؤلف

- معارك شمال افريقيا
- من اعلام تاريخنا العسكري
- معارك شمال غرب اوروبا
- حرب رمضان وتحطيم الاسطورة
- التحدي النووي في الشرق الاوسط
- الجيش العربي الأردني في حرب عام ١٩٤٨
- الجبهة الأردنية في حرب حزيران ١٩٦٧
- التوازن الاستراتيجي في الشرق الاوسط
- الاستراتيجية النووية
- الدروس المستفادة من الحروب العربية الاسرائيلية



المطابع التعاونية - عمان

ثمن
النسخة ١٫٥٠٠ دينار